

من بحوث المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية منطلقاتها وحقائقها وأفاقها

د. عبد الرزاق هرماش

www.tafsir.net



دعوى
فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم
الإنسانية الغربية

منظلماتها وحقائقها وأفاصها

بحث مقدم
للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية
١٤٣٤/٤/٦ - ١٤٣٤/٢/١٦ هـ - ٢٠١٣/٢/١٦

إعداد
د. عبد الرزاق هرماس إسماعيل بن محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيرة الذاتية

الاسم: عبد الرزاق هرماس إسماعيل بن محمد

تاريخ الميلاد: ١٦ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ موافق ٦ نوفمبر ١٩٦٠ م.

الإطار الحالي: أستاذ التعليم العالي - كلية الآداب . جامعة ابن زهر - أكادير .
المغرب .

١- أنشطة البحث:

أ- الجوائز العالمية:

- الحصول على جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، فرع السنة النبوية لعام ١٤٢٨ هـ في موضوع "مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين" مناصفة.

ب- النشر في المجالات العلمية المحكمة خارج المغرب:

ضمن "مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية" التي يصدرها مجلس الشورى العلمي بجامعة الكويت:

- "لمحات عن المدونات الأولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري" ، العدد ٢٧ عام ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م ص ١٧-٨٦ .
- "مطاعن المستشرقين في رؤية القرآن" العدد ٣٨ عام ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ ك ص ٦١-١٥٩ .
- "الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية" العدد ٥٥ عام ١٤٢٤ هـ، ١٤٤٧ م ص ٧٩-١٤٤ .

بحث

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

- "كتاب المغازي لمحمد بن عائذ ت ٢٣٣ هـ تصنيفه ورواته واحتفال العلماء به" العدد ٧٨ عام ١٤٣٠ ص ٥٠٣ - ٥٦١.

ضمن "حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية" تصدرها جامعة قطر:

- "مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد" العدد ١٦ عام ١٤١٩ هـ، ص ٦١-١١.

- "القرآن الكريم... ومناهج تحليل الخطاب" العدد ١٩ عام ١٤٢٢ هـ، ص ٥٣-١١.

ضمن دورية "الدارة" تصدرها دارة الملك عبد العزيز بالرياض:

- "مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول للهجرة" العدد ١ السنة ٢٣ عام ١٤١٨ هـ، ص ٥٤-٥٥.

ضمن "مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود" الرياض:

- "التأليف في التفسير عند المحدثين" العدد ٢٦ عام ١٤٢٠ هـ، ص ١٣ - ٨٩.

ضمن "مجلة البحوث الفقهية المعاصرة" الرياض:

- "المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الأحكام قديماً وحديثاً" العدد ٤٦ عام ١٤٢١ هـ، ص ٥٤-١٥١.

ضمن "مجلة جامعة أم القرى" بمكة:

- "علم التفسير في كتابات المستشرقين" العدد ٢٥ المجلد ١٥ عام ١٤٢٣ هـ، ص ٧٧-١٢٩.

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

ضمن "مجلة البحث والدراسات القرآنية" مجمع الملك فهد، المدينة المنورة:

- "الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر للهجرة" العدد السادس، السنة الثالثة، رجب ١٤٢٩ هـ، ص ٩٥ - ١٥٢.

ضمن "Journal of Qur'anic Studies" تصدرها كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن:

- "أثر القرآن الكريم في فهم السنة النبوية: أحاديث المغازي نموذجاً" المجلد الثاني عشر، العددان الأول والثاني ٢٠١٠، ص ٣٧١-٣٣٨.

ج- النشر في المجالات الجامعية الوطنية:

- مجلة دار الحديث الحسنية العدد ١٤ سنة ١٩٩٧، ص ١٣-٣٩: "الاتجاه العلمي في التفسير: نشأته وتطوره".
- مجلة كلية الآداب بنى ملال العدد ٣ سنة ٢٠٠١ م ص ٢٨٥-٣٠٣: "مدونة سعيد بن جبیر في التفسير".
- مجلة الواضحة تصدرها دار الحديث الحسنية الرباط، العدد ٢ سنة ١٤٢٥ هـ، ص ١٠١-١٣٦: "التزعة الإصلاحية المعاصرة في التفسير بالغرب الإسلامي".

 المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ملخص البحث

يعرض هذا البحث لدعوى ترعرعت خلال العقود الأخيرة في أحضان المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية، وقد قدمت من قبلهم على أنها تطوير غربي لمنهج فهم القرآن اعتماداً على أدوات معرفية حديثة مأخوذة مما تزخر به البيئة الثقافية والفلسفية الغربية من نظريات تطبق في مجال تفسير النصوص عامة.

ولأن الأدبيات المنشورة في الموضوع كثيرة، فإن هذا البحث حرص على تقريب "الدعوى" من القارئ في دراسة تقويمية مجلمة تبعاً لما تسمح به المشاركة في هذا المؤتمر، فجاء ذلك في ثلاثة نقاط رئيسة:

الأولى : منطلقات هذه الدعوى من أقسام الدراسات الشرقية بالجامعات الأوروبية، حيث تمت المندادة ببني المناهج التي اعتمدتها أساتذة اللاهوت هناك في دراساتهم الحديثة لتراثهم الديني وذلك بنقلها إلى مجال فهم القرآن الكريم، وقد عرض البحث لنشأة الدعوى ثم لتطورها خاصة في مرحلة الدراسات العليا بهذه الجامعات.

النقطة الثانية : حقيقتها، وترجع إلى خلفيتها الفلسفية وقد بين البحث كيف أن هذه الدعوى المنسوبة إلى فهم القرآن تنطلق من خلفية الاستعلاء الغربي، حيث يريد هؤلاء المستشرقون أن يصبحوا "منظرين" لما يجب أن يكون عليه منهج فهم القرآن، ولذلك حرصوا على تكوين عدد من المنتسبين إلى العالم الإسلامي في هذا المجال، والغاية من هذا الجهد التأكيد على "المركزية الأوروبية Eurocentrisme" بالنسبة للمسلمين حتى في مجال فهم القرآن.

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

النقطة الثالثة: آفاق الدعوى وقد اهتم البحث بإبراز جانب من التقدير الإلهي الحكيم الذي اقتضى أن تتحول قلائع هذه الدعوى بالجامعات الغربية اليوم إلى أطلال مثل ديار عاد وثمود، ولم يبق من آثارها إلا جملة مصطلحات فلسفية لا زال بعض المؤلفين عن القرآن من دعاة الحداثة في العالم الإسلامي يرددونها بسبب ما توحّي لهم به مخيلتهم من فهم عميم لثقافة ظنوها سلماً للاستعلاء والمعرفة الحديثة.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وطائفة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن ليكون للناس شرعة ومنهاجا، وأوكل بيان مجده إلى رسوله ﷺ، أما تفسير مشكله فقد ندب أهل العلم في كل زمان لتدارسه ورتب لهم على ذلك جزاء من عنده، فتنافسوا في خدمة هذا الكتاب من جهة تفسيره والاستنباط منه، ومعلوم أنه تعالى لم يكلف بهذه المهمة الشريفة من ليس من أهل الفقه بالقرآن ممن لم يرتفعوا إلى يفاع العلم عن حضيض الجاهلين، كما أنه لم يستندها لمن سبق في علمه تعالى أنهم ممن جعل "على قلوبهم أكنة" حجبت عنهم فقه آيات الوحي.

وهذا الموضوع "دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية؛ منطلقاتها وحقائقها وأفاقها" دراسة تهتم بعرض وتقويم "تجربة" معاصرة لفهم وتفسير القرآن ظهرت ونمطت في أحضان معاهد الدراسات الأوروبية وأشرف عليها لفيف من المستشرقين قبل أن يتعدد صداتها في العالم الإسلامي خلال زمن أقولها بمنتها الأول.

وقد أردت أن تكون الدراسة عرضا وتقويمًا لهذه الدعوى.

أما العرض فقد كنت حريصا فيه على تقديم صورتها للقارئ اعتمادا على المصادر الأصلية لمعرفتها، وعندما أضطررت إلى الاختصار في العرض التزاما بشرط هذا المؤتمر كنت أرجأ إلى الإحالات في الهوامش لمن أراد التوسيع.

أما التقويم فقد ارتأيت أن لا أرجأ فيه إلى تحكيم قواعد علم "أصول التفسير" حتى لا يتسع الكلام، لكنني عوضت ذلك بالنقد المنهجي

بحوث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

المؤسس على كشف حقيقة الدعوى وتعلقها ببيئة فكرية غربية مشبعة بالفلسفات والإيديولوجيات.

ولما كان ذلك هو شرطي في البحث فقد انتهيت في تقديرني للموضوع إلى دراسته وفق الخطة التالية:

ابتدأت ببحث تمهيدي عن الجذور الأولى لهذه الدعوى في كتابات الغربيين، وفيه ثلاثة مطالب:

- الأول: عرضت فيه لطائفة الاهتمام الغربي بتفسير القرآن وفهمه.

- والثاني: خصصته لاتجاهات البحث الاستشرافي المعاصر عن القرآن.

- والثالث: تكلمت فيه عن ارتباط هذه الدعوى بمعاهد دراسة "اللاهوت" قبل انتقالها إلى مجال الدراسات القرآنية بالغرب.

ثم جاءت بقية مباحث الدراسة متسلسلة من العام إلى الخاص كالتالي:

المبحث الأول: منطلق الدعوة إلى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية الغربية، وفيه

- المطلب الأول: علاقة الدراسات القرآنية في الغرب بدراسة اللاهوت.

- المطلب الثاني: الكنيسة الكاثوليكية وجماعات التفسير.

- المطلب الثالث: احتضان هذه الدعوى من قبل اليسار المسيحي

المبحث الثاني: الجامعة الغربية وأثرها في الترويج لهذه الدعوى، وفيه

- المطلب الأول: محاولات متعددة للترويج لهذه الدعوى.

- المطلب الثاني: الجامعة الفرنسية تبني هذا الترويج.

- المطلب الثالث: التنزيل الأولى لهذه الدعوى.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

المبحث الثالث: حقيقة هذه الدعوى باعتبار خلفيتها النظرية ومرتكزاتها المنهجية، وفيه

- المطلب الأول: انطلاقها من خلفية "الاستعلاء الغربي".
- المطلب الثاني: الدعامات المنهجية لهذه الدعوى.
- المطلب الثالث: انعكاس هذه الدعوى خارج الجامعة الغربية.

المبحث الرابع: تقويم الدعوى وأثارها وبيان آفاقها، وفيه

- المطلب الأول: تقويمها من جهة المنهج.
- المطلب الثاني: أثرها في أوساط "هواة" التأليف عن القرآن.
- المطلب الثالث: آفاق الدعوى من منظور ما انتهت إليه.

أما المنهج الذي سرت عليه في البحث فقد قام على تتبع هذه الدعوى من خلال الكتابات الأصلية التي نظرت لها، وأود أن أشير هنا إلى أن المشروع الاستشرافي المعاصر المتعلق بفهم القرآن وتفسيره يتأسس على النظر في كتاب الله من خلال:

أولاً: مناهج العلوم الإنسانية.

ثانياً: مناهج النقد الأدبي الغربي.

وذلك تقليداً لما يجري في مجال دراسة التوراة والأناجيل بمعاهد اللاهوت في الجامعات الغربية حيث زعم المستشرقون أنهم أرادوا بذلك تطوير الدراسات القرآنية، ولأن مجال الكتابة لا يتسع للحديث عما سبق كله، فقد أجملت الكلام عن دعوى فهم القرآن تبعاً لمناهج العلوم الإنسانية فقط، واقتصرت من هذه الأخيرة أيضاً على ما انتهى إليه النظر الاستشرافي في التأصيل للدعوى انطلاقاً مما حرره هؤلاء عن الموضوع ضمن "دائرة المعارف الشاملة" في الإصدار الفرنسي.

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

وأخيراً أتوقف عند الهدف الذي حفزني للكتابة في هذا الموضوع فأشير إلى أن قصدي من ذلك هو تقديم رؤية متكاملة عن جانب من التصور المتعلق بتطوير تفسير القرآن في الغرب، خاصة وأن بعض دعامتها المنهجية تم انتهاكها من قبل عدد من الكتاب والمؤلفين بالعالم الإسلامي.

فأسأل الله السداد في القول والعمل، كما أسأله الهدى إلى سبيل الرشاد في فهم القرآن والتوفيق في النأي عن سبل الفتنة التي من أعظمها التقول عليه سبحانه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، والله أعلم وأحکم.

مبحث تمهدى

الجذور الأولى لهذه الدعوى في كتابات الغربيين

تراجع علاقة الغربيين بالقرآن إلى قرون مضت حين اتجه العشرات منهم لمحاولة ترجمته إلى شتى اللغات واللهجات الأوربية، وكانت هذه الترجمات - التي جاءت مشوهة - متنه طموحهم آنذاك^(١)، لذلك لم يلتفتوا إلى التراث التفسيري حتى اتصف القرن التاسع عشر الميلادي عندئذ ابتدأ اهتمامهم بتفسير القرآن وكانت بوادر ذلك مع نشر المستشرق الألماني فريتاج ت ١٨٦١ م كتاب "أسرار التأويل وأنوار التنزيل" للبيضاوي في ليزيج عام ١٨٤٥ م، وتزايد هذا الاهتمام مع إنشاء لجنة خاصة بالقرآن من قبل أكاديمية العلوم البافارية أشرف على تمويل وتنظيم رحلات المستشرقين التدريبية إلى عدد من الحواضر الإسلامية آنذاك كانت أهمها القاهرة.

(١) انظر فهرسة علمية شاملة لهذه الترجمات عند د. حميد الله في ذيل ترجمته الفرنسية للقرآن ضمن: Le Coran; traduction intégrale; Paris 1959 (14 ed 1985) وانظر أيضا عرضا لها إلى حدود ١٩٨٠ م في المادة التي حررها المستشرق الألماني رودي بارت لدائرة المعارف الإسلامية ضمن: R. Paret; La traduction du Kur'an in Encyclopédie de l'Islam; T 5 pp431-433.

المطلب الأول

طلائع الاهتمام الغربي بتفسير القرآن وفهمه

لما ألف المستشرق الألماني شوالى^(١) الجزء الثاني من كتاب "تاريخ القرآن" الذي ابتدأه أستاذه نولدكه^(٢) خصص في آخره بمحثًا عرض فيه لخلاصة ما انتهت إليه الدراسات القرآنية عند المستشرقين إلى حدود ١٩٠٩ م تاريخ نشر هذا الجزء، فقال عن اهتمام هؤلاء بتفسير القرآن: "لم يضع الغربيون إلى الآن تفاسير للقرآن بالمعنى الحقيقي، بعض النتائج التفسيرية لهؤلاء.. موجودة في سير النبي ﷺ وبعضها الآخر في دراسات منفردة ذات طبيعة متنوعة جداً وأخيراً ترد في ترجمات القرآن المزودة في العادة بملحوظات عديدة".^(٣)

والمتتبع للأدبيات الاستشرافية في هذه الحقبة سيخلص إلى أن هناك عائين حدا من اهتمام هؤلاء بهذا الجانب من الدراسات المتصلة بالقرآن:

(١) فريدریش شوالی F. Schwally: ١٨٦٣ - ١٩١٩ م، اهتم بالدراسات القرآنية وكان تلميذاً للمستشرق نولدكه الذي ائتمنه على تتمة كتاب "تاريخ القرآن" عندما عجز عن ذلك، والقسم الذي كتبه منه يتعلق بجمع المصحف ويوجد في الكتاب المعرّب ما بين ص ٢٢٣ و٤٣٤، منشورات الجمل، كولونيا بألمانيا ٢٠٠٨ م.

(٢) تیودور نولدكه T. Noldeke: ١٨٣٦ - ١٩٣٠ م، انظر ترجمته عند عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين ص ٥٩٨-٥٩٥، الطبعة الثالثة ١٩٩٣ م دار العلم للملائين بيروت.

(٣) تاريخ القرآن ص ٤٣١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الأول حجم التراث المتراكم في مجال التفسير واستحالة استقصاء المستشرقين لعيونه من الأمهات - حتى المطبوع منها - يدل على ذلك مثلاً استنجاد كبارهم ممن كتبوا عن هذا العلم بكتب الأدب واعتبارها مصادر للتأليف عنه^(١).

الثاني صعوبة إمام المستشرقين بتصور ضابط يمهد لهم فهم علم التفسير، حيث ظل تفسير كتاب الله - القائم على أصول علمية - في أذهان أجيال من هؤلاء حبيس تصور مذهبي ضيق أدى في كثير من الأحيان إلى تبني تصورات عن القرآن وفهمه في غاية الغرابة نجد لها جذوراً في التراث الديني اليهودي أو المسيحي.

ولعل أشهر ما حرره هؤلاء عن تفسير القرآن مطلع القرن العشرين: أولاً "ملحوظات نقدية حول الأسلوب والتركيب في القرآن" الذي نشره الألماني نولدكه بستراسبورج عام ١٩١٠م^(٢).

ثانياً "مذاهب التفسير الإسلامي" الذي نشره المستشرق المجري جولد تسيهير في ليدن عام ١٩٢٠م^(٣).

(١) من هذه الكتب على سبيل المثال: "الأغاني" لأبي الفرج، وانظر في ذلك صنيع جولد تسيهير ت ١٩٢١م في مذاهب التفسير الإسلامي ص ١٠٧، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ دار أقرأ بيروت، ترجمة عبد الحليم النجار.

(٢) ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية عام ١٩٥٣م من قبل المستعرب الفرنسي بوسكي G.H.Bousquet بعنوان:

Remarques critiques sur le style et la syntaxe du Coran; ed Maisonneuve Paris

(٣) ترجم هذا الكتاب مرتين: الأولى عام ١٩٤٤م بعنوان: المذاهب الإسلامية في ==

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

والكتابان حافلان بالأرجيف الناتجة عن تعصب مذهبى لم يلبث أن انعكس في كثير من كتابات المستشرقين بعدهما إلى أيامنا الراهنة.

غير أن توسيع هذا الاهتمام الغربي بالقرآن وتفسيره يكاد يكون مرتبطاً بمشروع إصدار "دائرة المعارف الإسلامية" الذي تبناه المؤتمر الدولي العاشر للمستشرقين بجنيف ١٨٩٤م، وقد أُنجز هذا المشروع ما بين ١٩١٣م-١٩٤٢م^(١)؛ فقد تضمنت هذه الدائرة عدداً من المواد ذات الصلة بالقرآن حرصاً محروهاً من المستشرقين من مختلف الجنسيات الأوروبية على أن يضمّنوها مختلف آرائهم بخصوص "مصدر" القرآن وعلمي القراءات والتفسير...، ولم تكن هذه الآراء مختلفة عما درجوا عليه من طعن في نبوة محمد ﷺ، وادعاء بأن تفسير القرآن مجرد انتقال لتراث أهل الكتاب الذين عاشوا تحت راية الإسلام كما يقف على ذلك كل مطلع على مادة "تفسير" التي كتبها "كارادييفو" للإصدار الأول من الدائرة^(٢).

==

تفسير القرآن الكريم، تعرّيب على حسن عبد القادر، مطبعة العلوم؛ والثانية عام ١٩٥٤م وهي المشار إليها في هامش سابق.

(١) ظهرت هذه الدائرة في إصدارين: الأول اكتمل عام ١٩٤٢م في أربعة مجلدات وخامس إضافي بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، وهذا الإصدار هو الذي ترجم قسم منه إلى العربية، أما الإصدار الثاني فقد ابتدأ عام ١٩٥٤م واكتمل قبل سنوات فقط في اثنى عشر مجلداً في لغتين الفرنسية والإنجليزية.

(٢) توجد هذه المادة ضمن القسم المعرّب من الدائرة في المجلد الخامس، حرف النساء.

المطلب الثاني

اتجاهات البحث الاستشرافي المعاصر عن القرآن وصيلتها بالكتابية عن التفسير

هناك اتجاهان رئيسيان في مجال البحث المتعلق بالقرآن في الغرب:
الأول يدعو إلى ما اصطلح عليه المستشرقون بـ "الدراسة التاريخية
للقديمة".

والثاني يتبنى فكرة إخضاع القرآن لمختلف الأدوات التي عرفت في مجال العلوم الإنسانية^(١).

وإذا كان الاتجاه الأول بحكم تأثيره المباشر بالدراسات التقليدية في اللاهوت الكاثوليكي انتهى إلى اعتبار القرآن "نتاج البيئات اليهودية والمسيحية في الجزيرة العربية ومحيطها في القرن السادس الميلادي" (٢)، فإنه تبعاً لذلك سعى إلى "الاستدلال" على هذه الفرية بأطراف من قصص الأنبياء والأمم السابقة التي وردت في القرآن وتعرضت لها نصوص التوراة والأنجيل التي بأيدي الناس...، وهذا الاستدلال الذي لا تخفي خلفياته المذهبية تقمصته أجيال من المستشرقين أفنوا أعمارهم في تكليف إثبات

C. Gilliot; in Encyclopaedia universalis corpus 6 p. 547 (1)

(٢) انظر: كارا ديفو، مادة تفسير ضمن ج ٥ من القسم المعرّب من الدائرة، وأيضاً رضوان السيد، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، مجلة البيان (تصدرها جامعة آل البيت) العدد ١ المجلد ١٤١٩ هـ.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

فرضية مؤداها أن علم التفسير مستمد من أخبار أهل الكتاب التي روجها الفصاصل في صدر الإسلام وأدخلها المفسرون إلى كتبهم بعد عصر التدوين^(١).

ولست بحاجة إلى تتبع تطور هذا الاتجاه الغربي في الكتابة عن القرآن وتفسيره منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأن ذلك سيؤدي إلى الاستطراد في مباحث ثانوية بالنسبة لموضوع البحث، لذلك أكتفي بالإشارة إلى أن أي جديد يطرأ في مجال دراسة اللاهوت ينعكس سريعاً على دراسة القرآن ولو لم توجد له آية صلة بهذا الكتاب، من أغرب الأمثلة في ذلك ما تم تداوله منذ سنوات عن اكتشاف مخطوطات "توراة" قديمة عثر عليها عام ١٩٤٧م في موقع (قمران) - شمال غرب البحر الميت. وهي مكتوبة بالعبرية وبعضها بالأرامية^(٢)، فقد تلقتها طوائف مسيحية بدعوى الاستفادة منها في مجال دراسة اللاهوت، ونقد "الكتاب المقدس"، ثم لم يمض سوى زمن قصير حتى تنادي نفر من المستشرقين وتلامذتهم المتغربين داعين إلى الاستفادة منها أيضاً في مجال إعادة دراسة

(١) انظر على سبيل المثال كليمان هوار ت ١٩٢٩م، وهب بن منه والتراث اليهودي المسيحي باليمن، منشورة بالفرنسية في: Journal Asiatique: T4 juillet - août 1904، وأيضاً رئيس بلاشير، التفسير القرآني أصوله وأغراضه ضمن: القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيرة ص ١٠٦-١٢٨ الطبعة الأولى ١٩٧٤م دار الكتاب اللبناني، ترجمة رضا سعادة.

(٢) نشرت مترجمة إلى العربية عام ١٩٩٨م بعنوان "التوراة: كتابات ما بين العهدين"، دار الطليعة دمشق، ترجمة موسى الخوري.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

تاريخ المصحف رغم أنه لا صلة للقرآن بهذه المخطوطات العبرانية التي لم يعترف بها حتى أخبار اليهود^(١).

أما الاتجاه الثاني من البحث الاستشرافي عن القرآن فقد كان متأثراً باللاهوت البروتستانتي الذي ربط الأديان بالثقافات، ودعا لإخضاع النصوص الدينية إلى مختلف المناهج التي عرفت في مجال الدراسة الأدبية عامة..، ومن هنا دعوته لـ"إيجاد "سوسيولوجيا" و"أنثروبولوجيا" و"سيميولوجيا" و"فيتنومنولوجيا" الأديان، وكان الغرض من هذه الدعوى - كما سيأتي - التخلص من سلطان الكنيسة الكاثوليكية وإشرافها على فهم وتفسير نصوص التوراة والأنجيل حماية للمعتقدات التي دأبت على الدفاع عنها.

وهذا الاتجاه الثاني هو الذي يهمنا في هذا البحث؛ لأن لفيفاً من المستشرقين حرصوا ابتداء من منتصف القرن العشرين على الدعوة إلى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية التي طبقت في مجال دراسة النصوص المسيحية حتى يفتحوا المجال للتخلص من أصول وقواعد علم التفسير التي تضبط فهم القرآن والاستباط منه، ومن هذا المنطلق يصلون إلى الطعن في علم تفسير القرآن بدعوى نقهء، ويدخل ضمن هذا النقد الطاول على ما صح منه عن النبي ﷺ والسلف ولو نقل بأوثق الأسانيد.

(١) من هؤلاء التلاميذ محمد أركون، انظر دعوته تلك في كتابه: تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢٩٠-٢٩١، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، منشورات مركز الإنماء القومي بيروت، ترجمة هاشم صالح.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

وقد تلقت دعوة هؤلاء بعد ذلك نفر من تلامذتهم "المتغربين" الذين درسوا في أوروبا قبل خمسة عقود فروجوا لها، ثم ما لبثت أن شاعت بين كثير من الكتاب المعاصرين الذين يجهل جلهم أساسها النظرية وخلفيات نشأتها الدينية في سياق الصراع والتنافس الطويل بين الكنيسة الغربية وخصومها هناك، وستأتي الإشارة إلى بعض هؤلاء في حدود ما يسمح به مجال هذا البحث.

المطلب الثالث

ظهور هذه الدعوى في مجال دراسة اللاهوت وانتقالها إلى مجال الدراسة القرآنية بالغرب

تذكر "دائرة معارف الديانات والأخلاق" أن ألمانيا شهدت خلال القرن التاسع عشر الميلادي - تحت تأثير التزعة البروتستانتية - حملة لنزع اختصاص تفسير النصوص الدينية من رجال الكنيسة، حتى يصبح ذلك من حق المستغلين بالفلسفة والتاريخ والأداب قديمها وحديثها، وأشهر من وضع الأسس النظرية لذلك "عالم اللاهوت" فريدرش شلاير ماخر Friedrich Schleirmacher ت ١٨٣٤م، وكان منطلق نظرته أنه لا يوجد فارق بين النصوص الدينية والكتابات الأدبية، ففتح بذلك الباب لتجربة جميع "الصيحات" المنهجية التي تظهر في الدرس الأدبي على نصوص المسيحية ولو كانت هذه المناهج بينة الشذوذ^(١).

بعد شلاير ماخر - الذي اقتصر في دعوه على النصوص المسيحية -

(١) انظر أثر هذه التزعة في تفسير القرآن حديثا عند:

- د. السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن ص ١٤٩-١٣٧ ، دار النهضة العربية ببيروت ١٩٦٩ م.

- د. فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ج ٢ ص ٩٨١-٩٨٢ ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الرياض.

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

جاء بليديه يوليوس فيلهاوزن Julius Wellhausen ت ١٩١٨ م - أستاذ دراسة اللاهوت - فأراد تجربة هذه النظرية على القرآن عندما أستد إليه سنة ١٨٩٠ م كرسي الدراسات الشرقية بجامعة جوتينجن.

وإذا كان فيلهاوزن قد اشتهر في الكتابات العربية الحديثة بأنه أول ناشر لقسم من مغازي الواقدي بعد ترجمته إلى الألمانية ما بين ١٨٨٢ و ١٨٨٥ م، فإنه يعتبر بين المستشرين الألمان مؤسس الدراسات المرتبطة بالقرآن بعد أن أنفق سنوات من حياته في سبيل الترويج لفرضية ارتباطها بالتراث الديني اليهودي خاصة منه ما سماه "القصص التلمودي المفسر لأحداث التوراة"^(١).

وفي بحث للدكتور رضوان السيد عن "الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني" قال: "... ركز فيلهاوزن في دراساته الإسلامية الأولى على (الجماعة) الدينية الإسلامية، ووظيفة النص القرآني في أوساطها، وقضايا التجربة الحية للجماعة الأولى مع نبيها ونصفها المُوحَى، مطابقاً بذلك ما سبق له أن فعله في مجال القراءة المتساوية بين النص والنبي والجماعة لدى العبرانيين القدماء"^(٢). وقد أدى هذا التوجه الاستشراقي الذي قاده الألمان منذ القرن التاسع عشر إلى نتيجتين:

(١) د. محمد عوني عبدالرؤوف وإيمان السعيد، جهود المستشرين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ج ٢ ص ١٣٣، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: رضوان السيد الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني؛ مرجع سابق.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

- الأولى: إدراج الدراسات القرآنية عند المستشرقين ضمن دراسات الأدب العربي نثراً وشعراً^(١).
 - الثانية: توجيهها بأقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية ثم الغربية لتصبح تابعة لدراسات اللاهوت المسيحي من ناحية المناهج.
- وهذا ما جعل هذه الدراسات خاضعة لكل جديد طارئ في مجال النقد الأدبي الذي أصبح مع "حداثة" القرن العشرين متاثراً بمناهج العلوم الإنسانية، وبرز ذلك بجلاء مع نشأة ورواج مختلف المناهج "الحداثية" مطلع ذلك القرن، واستفحلاً الأمر بعد أن غدت هذه المناهج "مطية ذلولاً" لدعوة مختلف الفلسفات والإيديولوجيات في النصف الأخير منه، لما أصبحت كثير من الجامعات الغربية وبخاصة في فرنسا ذات ألوان سياسية أو فكرية سواء تعلق الأمر باليمين أو اليسار^(٢).

(١) نجد على سبيل المثال شارل بيلا في تاريخ اللغة والأدب العربية يتكلّم عن القرآن والتفسير ضمن مبحث سماه "التراث المسجوع"، ص ٨٣-٨٦، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م دار الغرب الإسلامي بيروت، تعرّيف رفيق بن وناس وآخران، والشيء نفسه نجده عند ريجس بلاشير في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي من الأصول إلى نهاية القرن الخامس عشر (بالفرنسية).

(٢) مثل ذلك أن جامعة نانتير Nanterre كانت قلعة لليسار وفي مقابلها السربون القديمة كانت معلقاً لليمين الفرنسي، أما جامعة باريس الثامنة Saint Denis فقد كانت معلقاً لطائفة يهودية.

المبحث الأول

منطلق دعوى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية الغربية

لعله من الأنسب الإشارة مقدماً إلى أن هذه الدعوى لم تسفر عن وجهها علينا سوى في عقد الستينيات من القرن العشرين أي العقد التاسع من القرن الهجري الماضي، وقبل ذلك كانت منحصرة في أوساط المستشرقين المهتمين بتاريخ الإسلام، وب الحكم أن مؤتمرات المستشرقين هي ملتقيات يتدارسون فيها سبل، تطوير طرق العمل، فقد كانوا يعرضون ويناقشون خلالها أية وسيلة جديدة يريدون إدخالها إلى مجال التخصص قبل اعتمادها^(١)، وفي هذا السياق نظموا أول مؤتمر لهم حول موضوع "السوسيولوجيا الإسلامية" ببروكسيل في الفترة ١١ إلى ١٤ سبتمبر ١٩٦١م ناقشا فيه إمكانيات إدخال مناهج العلوم الإنسانية - رسمياً - إلى مجال الدراسة المهمة بالإسلام^(٢).

وبعد هذا التاريخ تواترت المؤتمرات لكن الملاحظ أن كبار المستشرقين المشتغلين آنذاك بالقرآن ظلوا بعيدين عن تبني هذه الدعوى، التي لم يكتب لها الرواج إلا بتجنيد عدد من العرب من درسوا بأوروبا وتحصصوا

(١) د. المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص ١٩٧، ضمن سلسلة عالم المعرفة بالكويت العدد ١٦٧ عام ١٤١٣هـ

Maxime Rodinson; La fascination de l'Islam; p103 Maspero Paris 1980 (٢)

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

أصلاً في مجالات بعيدة عن العلوم الشرعية، حيث أُسندَ إليهم فيما بعد التنظير لها عن طريق انتقال طائفة من الأديب المتشابهة التي ألفها جامعيون غربيون متخصصون في دراسة اللاهوت أو الفلسفة^(١).

المطلب الأول**علاقة الدراسات القرآنية في الغرب بدراسة اللاهوت**

بغض النظر عن كون الترجمات الغربية للقرآن تولّها طيلة قرون "رجال دين مسيحيون"، فقد ارتبط الاهتمام بالتفسير وبالدرس القرآني عامة في الجامعات الأوروبية "علماء لاهوت" عمل كثير منهم في كليات تابعة للكنيسة، يشهد لذلك أن مشاهير المستشرقين المتخصصين للتخصص استهلهوا عملهم بالاشغال على التوراة أو اللغة العبرية أو اللاهوت المسيحي قبل انتقالهم إلى مجال التفسير بل حتى القراءات^(٢).

(١) من أشهر هؤلاء اللاهوتيين: بول ريكور ت ٢٠٠٥ م والمستشرق الراهب لويس غارديه ت ١٩٨٦ م.

(٢) أشهر المستشرقين المهتمين بالقراءات:

جوتهلف برجستراسر ت ١٩٢٢ م كان مسيحياً بروتستانياً انتقل من دراسة العبرية للاهتمام بالقرآن والقراءات خاصة. وأوتو برتسيل ت ١٩٤١ م كان تخصصه الأول في التوراة، قبل الانتقال إلى الاهتمام بكتب أبي عمرو الداني بتأثير من أستاده براجستراسر، انظر: بدوي موسوعة المستشرقين ص ٨٢ - ٨٧، ويرى الباحث أن

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

وعندما ظهرت بأوروبا الجامعات الحديثة كانت متأثرة بطريقة تنظيم الكنيسة للتعليم العالي الذي لم تتدخل فيه الدولة إلا بأخره^(١)، ومن ثم تضمنت هذه الجامعات الحديثة "أقساماً للدراسات الشرقية" دخلت في اختصاصاتها اهتمامات واسعة جداً تشمل:

دراسة اللغة العربية التي هي بحسبهم لغة "الكتاب المقدس" والدراسات العربية والسريانية والنصرانية الشرقية... ولا يكاد يجد مجال اهتمام هذه الأقسام سوى عامل وحيد هو التخصص الدقيق لرئيسها واهتمامات تلاميذه الذين يستغلون معه.

ففي ألمانيا مثلاً توجد الدراسات الشرقية في أربع وعشرين جامعة - دون احتساب المعاهد المستقلة . لكن الدراسات القرآنية لا توجد أساساً

==

النفاث هؤلاء إلى كتب القراءات وراءه خدمة غرض معين هو اعتبار اختلافها اختلاف مخطوطات، وذلك حتى يفتحوا الباب للادعاء ببعد المصاحف كما تعددت الأنجليل.

(١) كانت نشأة الجامعات الكاثوليكية بأوروبا متأثرة بمؤسسات التعليم في العالم الإسلامي خاصة في قرطبة، كما يذهب إلى ذلك المستعرب جورج مقدسي، ولذلك ظهرت الكليات الأولى وسط الكاتدرائيات (الكنائس الكبرى) تأثراً بالمساجد الجامعية، ولما كان الأساتذة رهباناً فقد دخلت بذلكهم السوداء الطويلة الأعراف الجامعية خاصة في مناقشات الدرجات العلمية العليا، بل إن لقب دكتور Docteur مأخوذ من اسم Doctrine التي تعني "عقيدة"، ولما انتشرت الجامعات الحديثة بأوروبا لم تخلص من هذا الإرث، وانظر: ج مقدسي، "نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب"، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز جدة، ١٤١٤هـ، ترجمة محمود سيد محمد.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

إلا في ثلات منها هي: جامعة برلين الحرة بـ "معهد الدراسات العربية"^(١) وجامعة جوتينجن بـ "معهد الدراسات العربية"^(٢)، وجامعة ميونيخ بـ "معهد الدراسات السامية"^(٣).

أما في فرنسا فقد اشتهرت ست جامعات باحتضانها لأقسام الدراسات الشرقية دون احتساب مراكز البحث المستقلة عن جامعات باريس وجامعات الأقاليم^(٤)، لكن الدراسات المتصلة بالقرآن والتفسير ارتبطت بثلاث منها هي: جامعة باريس الرابعة - السربون القديمة - بها "معهد الدراسات العربية والإسلامية" وجامعة باريس الثالثة - السربون الجديدة - بها "معهد الدراسات العربية والإسلامية"، وجامعة اكس أن بروفانس قرب مرسيليا؛ وما ذكر عن ألمانيا وفرنسا يصدق على إيطاليا وإنجلترا.

وإذ نذكر هذه الأقسام تحديداً يجب التنبيه إلى أمور ثلاثة:

الأول- أن أقسام الدراسات الشرقية ما هي في الواقع سوى شعب من كليات اللاهوت القديمة قبل توسيعها مع ظهور الجامعات الحديثة، يشهد لذلك تاريخ الجامعات الغربية...، فالملك فرانسوا الأول ت ١٥٤٧ م - مثلاً - لما واجهه جمود السربون القديمة - التي كانت ترعاها

(١) جهود المستشرقين - مرجع سابق - ج ٢ ص ٣١٨ .

(٢) غرنوت روتر، الدراسات العربية بجامعة توبنجن، دورية الفكر العربي العدد ٣٢ سنة ١٩٨٣ م ج ٢ ص ١٨٧ ...

(٣) جهود المستشرقين - مرجع سابق - ج ٢ ص ١٧ .

Journal Asiatique; T 261 fas 1-4; année 1973 p 91;

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

الكنيسة . على أربع كليات هي(اللاهوت والحقوق والطب والفنون) ورفضها لأي تطور، أنشأ إلى جانبها "كوليج دو فرنس Collège de France باسم (القراء الملكيين) الذي ابتدأ اهتمامه بالعبرية لغة " الكتاب المقدس " عندهم عام ١٥٣٠ م ثم أضيفت إليها العربية عام ١٥٧٨ م^(١) ، وبعد نجاح التجربة انتقلت إلى الجامعات القديمة.

الأمر الثاني - أن أشهر المستشريين المستغلين بالدراسات القرآنية استهلهوا تكوينهم بتعلم وتدريس العبرية التي هي المرحلة الأولى للتخصص في اللاهوت ومنها انتقلوا إلى القرآن، وهذا حال: تيودور نولدكه^(٢) وجولد تسيهير^(٣) ويرتسل^(٤) وكراديفو^(٥).

الأمر الثالث - أن التوجه التخصصي الغالب على أي قسم منها يرتبط بمؤسسه أو المشرف عليه ثم بتلاميذه بعد تقاعده، ففي جامعة جوتينجن بألمانيا على سبيل المثال - التي اشتهرت خلال نصف القرن الأخير بتزايد اهتمامها بالدراسات القرآنية نجد سبب ذلك يرجع إلى المستشرق روبي باريت Rudi Paret ت ١٩٨٢ م^(٦)، الذي اشتغل بهذه الجامعة منذ ١٩٥١ م

(١) المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص ٩٧-٩٨.

(٢) انظر: بدوي، موسوعة المستشريين ص ٥٩٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٩٨.

(٤) نفس المرجع ص ٨٢.

(٥) نفس المرجع ص ٤٦٢.

(٦) ميشال جحا، مستعربان ألمانيان بارزان: هلموت دير وروبي باريت، دورية الفكر العربي العدد ٣١ سنة ١٩٨٣ م، ج ١ ص ٣٣٨-٣٤٩.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وكان طيلة سنوات رئيسي للقسم واستطاع تخريج جيل كامل من الطلبة أصبحت معهم الدراسات القرآنية مكوناً رئيسيّاً في جل المؤتمرات التي يعقدها المستشرقون الألمان^(١).

المطلب الثاني**الكنيسة الكاثوليكية الحديثة وجماعات التفسير**

شهدت أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر ظهور العديد من الطوائف المسيحية والتيارات الدينية، الأمر الذي دفع الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان عام ١٩٠٢م إلى إنشاء "اللجنة الإنجيلية الأسقفية للدراسات الكاثوليكية" التي أنسنت لها تفسير النصوص المسيحية والإشراف على الدراسات الإنجيلية^(٢)، لكن ذلك لم يمنع الطوائف الدينية النصرانية

(١) تجاوزت مؤتمرات المستشرقين الألمان المتخصصة في الدراسة القرآنية حدود بلد़هم، ومن أهم ما نظموه في السنوات الأخيرة مؤتمر "نتائج البحث المعاصر في القرآن" بمعهد الشرق في بيروت أيام ٨ إلى ١٣/٩/٢٠٠٢م، وانظر: ع. هرماس، الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر للهجرة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، المدينة المنورة العدد ٦ عام ١٤٢٩هـ ص ١٢٢.

(٢) انظر ما نقله مؤلفاً: خديعة مخطوطات البحر الميت مايكل بيجنت وريشارد لي ص ١٤٧ عن الموسوعة الكاثوليكية الحديثة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م منشورات صفحات للدراسات والنشر دمشق، ترجمة وسميم عبده.

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

"الحديثة" من مزاحمتها في هذا المجال، وظهر أثر ذلك في عدد من الجامعات العلمانية أو اللائكية التي احتضنت أقسام الدراسات الشرقية، كما برزت هذه المزاحمة بشكل أوضح في كليات ومعاهد اللاهوت التابعة لمختلف الكنائس في أوروبا مثل "الجامعة الكاثوليكية" بمilanو في إيطاليا و"جامعة لوفان" ببلجيكا و"المعهد البروتستانتي لدراسة اللاهوت" في باريس ومونبولي بفرنسا.

وإذا كانت الدراسات القرآنية التي ظهرت بأوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر قد تأثرت بمناهج دراسة اللاهوت خاصة تلك التي قام بها الدارسون البروتستانت في ألمانيا كما تقدم في المبحث التمهيدي، فإن هذا التأثير ازداد وتشعب بدءاً من منتصف القرن العشرين لأسباب أربعة رئيسية هي:

- ١ - تعدد واختلاف مناهج وطرق فهم النصوص المسيحية تبعاً لتناقل وتکاثر التيارات والطوائف الدينية النصرانية في أوروبا، حتى إن "مجلس الكنائس العالمي" أصبح يضم اليوم ثلاثة وسبعين وأربعين كنيسة أمهاتها في أوروبا، والذي يميز بينها أساساً هو طريقة كل واحدة في فهم نصوص الأنجليل.
- ٢ - تغلغل التيارات الإيديولوجية بين منظري هذه الطوائف المسيحية، فنجد - مثلاً - في الكاثوليك يسار ويمين، وفي البروتستانت نفس الشيء وهلم جرا...، وكان لهذه الإيديولوجيات تأثير ظاهر في مجال التنظير لمناهج تفسير النصوص الدينية المسيحية وفي تعددتها واختلافها.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

- ٣- سعي هذه الطوائف لاكتساح الفضاء الجامعي أي معاهد اللاهوت وأقسام الدراسات المتخصصة لاستقطاب الطلبة المتميزين الأمر الذي قادها إلى صراعات فيما بينها داخل الحرم الجامعي الذي أصبح بعضه شبه موبوء^(١).
- ٤- غرق منظري هذه الطوائف في "مستنقع" الفلسفات المعاصرة كالوجودية والبنيوية وما بعدها من النظريات التي أنتجها الترف الفكري الغربي وأصبحت "محكمة" في مجال فهم وتفسير النصوص أدبية كانت أو دينية...

ولهذه الأسباب تعددت مدارس التفسير دون أن تستطيع الكنيسة الكاثوليكية ولا غيرها الحد منها أو ضبطها^(٢)؛ ويبلغ الأمر درجة التناقض في تفسير النصوص المسيحية، بل أضحت ذلك مطلوباً مع انتشار التزعة البنوية ونظريات التفسير التي تولدت عنها، ثم أصبحت معاهد دراسة اللاهوت وبخاصة في الجامعات اللائكة مثل الجُزر المُنْزَلَة، كل معهد منها له تفسيره ومنهجه في الفهم تبعاً للنظرية التي يتبناها، وفي دولة كفرنسا تسمح أنظمتها الأكاديمية بذلك كما تشجعه قوانينها تطورت دراسات اللاهوت بعيداً، حتى إننا نجد لمعاهدها وأقسامها الدراسية - في هذا المجال - منظريها الذين يتلون الذب عن فهمها وتفسيرها، وأكثر من

(١) اديث كيروزيل، عصر البنوية ص ٨٧-٨٨، منشورات عيون الدار البيضاء، ١٩٨٦، ترجمة جابر عصفور.

(٢) انظر: مايكل بيجنت وريتشارد لي، خديعة مخطوطات البحر الميت، ص ١٤٧-١٤٩، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م،

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

ذلك نجدها تستفيد من مؤسسات كبرى للطبع والتوزيع تشرف على إصدار منشوراتها في سلسلات (Collections) متنظمة^(١)، وفي بعض الأحيان يتم تجنيد هيئات دولية لخدمة هذه المشاريع.

وهذا الوسط "الموبوء" بالفلسفات والإيديولوجيات المتعددة كان هو "المهد" الذي احتضن قبل ستة عقود تقريباً تجربة إخضاع تفسير القرآن لمناهج العلوم الإنسانية، كانت بدأها ذلك بادعاء الرغبة في الاستفادة من هذه المنهاج في مجال الدراسات القرآنية بالغرب كما استفيد منها في "تطوير" دراسة نصوص اللاهوت المسيحي ما دامت الدراسات المهتمة بالأديان تختص بها نفس الأقسام الجامعات، ثم تلقت هذه الدعوى لفيف من متاخر المستشرقين المشرفين على الدراسات العليا المرتبطة بالإسلام، ولأن ذلك تصادف مع خريف الحركة الاستشرافية وهرم أو هلاك "أعلامها" فقد تم انتداب نفر من طلبة الدراسات العليا المتمميين إلى العالم الإسلامي للإسهام في المهمة كما سيأتي بيانه.

(١) من أمثلة دور النشر تلك: ...ed Louvain Maisonneuve et Larose ed Vrin و

المطلب الثالث

احتضان هذه الدعوى من قبل اليسار المسيحي الأوروبي

أشهر جماعات التفسير التي نازعت الكنيسة الكاثوليكية الحديثة إشرافها على الدراسات الإنجيلية بأوروبا تيار اتخد من الإيديولوجية اليسارية "عقيدة" له وذلك في زمن كان فيه "لليسار السياسي" بريق يغشى عقول المتنسبين إلى مجال الفكر والفلسفة، وأقام هذا اليسار المسيحي فهمه لنصوص التوراة والأنجيل على ثلاث دعامات:

- ١- التأويل الرمزي لهذه النصوص الذي يقوم على مبدأ تعدد المعاني وعدم الاكتفاء بالدلالة المعجمية فقط^(٤٠)، وهذا التأويل شبيه بما عُرِفَ في التراث البدعي من تفاسير منسوبة إلى طوائف الباطنية من الإمامية وزنادقة المتصوفة^(٤١).
- ٢- المزج بين "العقلانية الحديثة" والقيم والتعاليم المسيحية بعد إضفاء التفسير المادي عليها.
- ٣- البحث عن "قيم أخلاقية" مسيحية لا تتقيد بتعاليم الكنيسة، وذلك

(٤٠) من أبرز منظري هذا اليسار بول ريكور ت ٢٠٠٥م، وانظر كتابه بالفرنسية: "شيء من التأويل" De l'interprétation .

(٤١) لذلك اهتمت الكتابات الغربية بابن عربي وأمثاله كإخوان الصفا، وانظر: مذاهب التفسير الإسلامي، مبحث التفسير في ضوء العقيدة ص ١٢٠ وما بعدها.

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

بالتخلص من عقائدها بشأن "الخلاص" المسيحي وما ارتبط بذلك من تصورات خاصة بالخير والشر.

وعينا حاول هذا اليسار تبرير خلافه مع الكنيسة الكاثوليكية بادعاء أنه يبحث عن "وسيلة علمية للدعم التقارب بين الكنائس العالمية" التي أصبحت طوائف مختلفة بسبب تنازعها واختلافها في تفسير نفس النصوص الدينية؛ وقد تحقق هذا التيار حول مجلة صدرت بفرنسا في أكتوبر ١٩٣٢ م باسم "الفكر" Esprit أنشأها أحد منظري هذا التيار - آنذاك - هو مونيي إمانويل Mounier Emmanuel ت ١٩٥٠ م، وكانت متطرفة في أعداد شهرية تخطت حدود أوروبا الغربية لتوزع حتى في أمريكا الشمالية^(١).

غير أن التنظير لهذا اليسار سيسطوي على سوقه مع أشهر أعلامه وهو" بول ريكور Paul Ricoeur ت ٢٠٠٥م^(٢)، وعن طريق هذا الجامعي الذي عمل في السربون القديمة(جامعة باريس الرابعة) ما بين ١٩٥٦- ١٩٦٦ تعرف بعض طلبة الدراسات العليا العرب في الجامعة السابقة على هذا التيار المسيحي وعلى منهجه في تأويل النصوص الدينية، ومن هؤلاء الطلبة . السابقين . من سعى لتطبيق هذه النظريات على نصوص القرآن بدعاوى فهمها وتفسيرها، كما أن و منهم من "اقتصر" الفكرة فقط

(١) نشر هذا التيار المسيحي جميع أعداد هذه المجلة بما فيها القديمة في موقع خاص على شبكة الانترنت.

(٢) ظل بول ريكور متن克拉 لسنوات بين عدد من الجامعات "للدعائية " إلى اليسار الكاثوليكي، فمن جامعة ستراسبورغ إلى السربون إلى نانتير إلى لوفان إلى تورنون إلى شيكاغو ودرس حيزما أنس التجاوب مع آرائه الخاصة في تفسير المسيحية.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وحصل بها على الشهادة العليا...، وكان أكثر هؤلاء بعيدين عن التخصص في العلوم الشرعية أصلًا^(١).

وما تنبغي إضافته هنا أنه إذا كان منطلق دعوى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية قد ارتبط كما تقدم بعدد من متاخر المستشرقين فإن الميدان الذي شهد المحاولات الأولى لتطبيقه هو ميدان "البحث الأكاديمي" بالجامعة الغربية حيث وجهت عن قصد عدد من الرسائل والأطروحتات للاهتمام بهذه الدعوى عن طريق انجاز "أعمال علمية" تهدف إلى تطبيق هذه المناهج قسراً على آيات القرآن^(٢)، وإذا كان جل أصحاب هذه الرسائل قد انقطعت علاقتهم بالموضوع بعد التخرج من الجامعة الغربية وتحصيل الشهادة العليا فإن فئة قليلة منهم رأت في الدعاية لهذه المناهج تنظيراً وتطبيقاً نوعاً من الاستعلاء بالمعرفة الغربية، لكن تنظيرهم وقف عند حدود النقل والاقتباس أو الترجمة^(٣).

(١) لأنه كان بإمكان الحاصلين حتى على الإجازة في القانون العام تغيير التخصص والانتقال إلى الدراسات الشرعية...

(٢) للوقوف على طبيعة هذا الإشراف "العلمي" يرجع إلى: المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص ٢١٨ وما بعدها.

(٣) من الدراسات التقويمية الأولى التي عرضت لانتقال مناهج اليسار الأوروبي هذه إلى العالم الإسلامي كتاب ظاهرة اليسار الإسلامي: دراسة تحليلية نقدية لمحسن الميلي، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م، مطبعة تونس قرطاج، تونس.

المبحث الثاني

الجامعة الغربية وأثرها في الترويج لهذه الدعوى

اشتهر في عدد من الكتابات المعاصرة القول بأن تطبيق مناهج العلوم الإنسانية على القرآن جاء في سياق شعور المستشرقين بتأخر المناهج التي كانوا يشتغلون بها في مجال علم التفسير فدفعهم ذلك الإحساس إلى استعارة مناهج الغربيين المستغلين باللاهوت^(١)، ويرى كاتب هذه الدراسة أن ابتداء هذه الدعوى له . فضلا عن ذلك . تعلق بأزمة الحركة الاستشرافية عندما غيب الهرم أو الموت أشهر أعلامها من أساتذة الدراسات الشرقية الذين تركوا بصماتهم في مختلف الجامعات الغربية، من أمثال آرثر جفري Artur Jeffery ت ١٩٥٩ وريجيس بلاشير Regis Blachere ت ١٩٧٣ ورودي باريت Rudi Paret ت ١٩٨٣ ...، فقد خلف من بعدهم لفيف من الغربيين الذين تصدروا الكراسي الجامعية من غير أن يكون لهم نفس المستوى من الاطلاع على المكتبة الإسلامية، إذ كان أغلبهم من العاملين في "إدارة المستعمرات" بالعالم الإسلامي أو كانوا خبراء في وزارات الخارجية بالغرب، ولما استغلي عن خدماتهم استغلوا خبرتهم السابقة لولوج عالم الاستشراق؛ وفي حقبة خريف الاستشراق الكلاسيكي

(١) انظر مثلا: رضوان السيد، ثقافة الاستشراق ومصادرها، دورية الفكر العربي العدد ٣١ عام ١٩٨٣ ج ١ ص ٨.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وتقاعد أعلامه أصبح هؤلاء أساتذة بالجامعات أُسِّيَّدَ إِلَيْهِم التدريس والإشراف على الرسائل والأطروحة الأكاديمية^(١).

المطلب الأول**محاولات متعددة للترويج لهذه الدعوى**

لم يكتب لهذه الدعوى الرواج بين المستشرين الألمان الذين برزت طلائعها في بيتهما، وبعد "التبشير" بها في محافلهم متصف القرن العشرين ما لبث أن تراجعت لتظل الدراسات القرآنية بألمانيا وفية لطبعها القديم القائم على تدقيق النصوص والاهتمام بالتراث المخطوط؛ وفي ذلك قال د. رضوان السيد في بحثه السالف عن (الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني): "... عندما تبلورت بعض الأفكار والتوجهات حول النص في الستينيات من منطلق نظرية الأدب وقراءات البنى وتعدد المستويات، انصرف جيلان من المخضرمين ومستشرقين ما بعد الحرب إلى المزاج بين التحليل النقدي للنصوص والتاريخ الثقافي للشخصيات والموضوعات...، بيد أن الإيجابيات الأولى لهذه النزعات التدقيقية سرعان ما أزاحتها جانبًا نزعة جذرية... في أعمال أستاذين على الخصوص وهما: ألبریخت نوت Albrecht Noth ت ١٩٩٩ وتليمان ناغل Tliman

(١) من أمثلة هؤلاء: جاك بيرك في فرنسا وبرنارد لويس في إنجلترا ثم الولايات المتحدة بعد هجرته إليها.

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

...Nagel^(١). وتعتبر اليوم جامعة جوتينجن هي معقل هذه الدراسات^(٢).

وإذا كان الألمان قد صرفو أنفسهم عن الالتفات إلى هذه الدعوى كما تؤكد ذلك مؤتمرات مستشريقيهم، فلن نعدم من بينهم من احتفل بها، والإشارة هنا إلى المستشرقةAngelika Neuwirth نويفرث من جامعة برلين الحرة حيث يظهر من كتاباتها أنها متأثرة بمناهج النقد الأدبي التي ارتبطت بالتزعة البنوية في قراءة النصوص الدينية^(٣).

أما في إنجلترا فقد تركزت الدراسات القرآنية بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية S.O.A.S التابعة لجامعة لندن، وقد أرسى وجودها المستشريقي الأمريكي الأصل جوهن إدوارد وانسبروغ J.E. Wansbrough ت ٢٠٠٢م^(٤)،

(١) انظر: رضوان السيد، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني ضمن مجلة البيان ١٤١٩ هـ.

(٢) وقد أسهم هؤلاء في إنجاز تفسير بالألمانية في عشرة مجلدات توراه المسيحي اللبناني - الأصل - عادل تيودور خوري.

(٣) أنجليكا نويفرت تلمندت على أنطوان سيباتالير Anton Spitaler ت ٢٠٠٣م، وكانت أطروحتها للدكتوراه من جامعة ميونيخ عام ١٩٧٦م في موضوع "دراسة في تكوين سور المكية" طبعت بالألمانية عام ١٩٨١م، كانت لسنوات مديرية لمعهد الشرق في بيروت، وبعد تقاعدها تفرغت لمعهد الدراسات العربية بجامعة برلين الحرة، وهي من محرري مواد "دائرة معارف القرآن".

(٤) تخرج وانسبروغ من جامعة هارفارد تخصص التاريخ، وهاجر إلى إنجلترا حيث عمل بجامعة لندن بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية، وترجع شهرته في عالم الاستشراق إلى كتابه "الدراسات القرآنية: المصادر ومناهج التأويل" المنشور بالإنجليزية عام ١٩٧٧م، وللإشارة توجد في إنجلترا جامعات أخرى بها إلى

==

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الذي نحا بهذه الدراسات بعيداً عن الالتفات لمناهج العلوم الإنسانية التي كان غيره من المستشرقين في بلجيكا وفرنسا يحاولون الاحتفال بها.

وبعد تقاعده وانسبروغ سار تلاميذه في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية على منواله، تدل على ذلك أكثر المقالات التي يقدمونها في مؤتمر الدراسات القرآنية الذي تعقده هذه الكلية كل سنتين، وقد نظم المؤتمر السابع منها في نوفمبر ٢٠١١م، كما تدل عليه أغلب موضوعات أعداد المجلة نصف السنوية التي تصدرها نفس الكلية منذ ١٩٩٨م باسم "مجلة الدراسات القرآنية" *Journal of Quranic Studies*.

والشيء نفسه سار عليه المستشرقون المهتمون بالدراسات القرآنية في أمريكا الشمالية، إذ لم تحظ عندهم مناهج العلوم الإنسانية بكثير اهتمام، تشهد لذلك مواد أكبر موسوعة ألفها الغربيون عن القرآن وهي "دائرة معارف القرآن" *Encyclopaedia of the Qur'an* التي صدرت بالإنجليزية بين عامي ٢٠٠٦-٢٠٠١ في ست مجلدات واحتضنت مشروعها إحدى مؤسسات جامعة جورج تاون بإشراف لفيف من الأكاديميين يحمل بخلهم الجنسية الأمريكية، إذ لم تعط هذه الموسوعة أهمية تذكر لهذه الدعوى رغم وفرة المواد التي تضمنتها الدائرة، فقد خصصت موضوعاً مسهباً لمادة "تفسير" *Exegesis* ضمن المجلد الثاني^(١)، وتحت هذه

اليوم أقسام للدراسات الشرقية مثل جامعة ويلز، لكن الغالب على اهتمام أساتذتها من الأوربيين والعرب والأفارقة السود هو الأدب.

^(١) ترجمة لـ *Exégèse* بـ "تفسير" وترجمة *Interpretation* بـ ==

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

المادة جاء الكلام عن موضوعين رئيسيين:

الأول - عن "تفسير القرآن قديما" "Exegesis of the quran; classical and medieval" ، من تحرير المستشرق الفرنسي المعاصر كلود جيليو Claud Gilliot تكلم فيه عن نشأة التفسير وتطوره إلى بداية القرن الثالث عشر للهجرة^(١).

الموضوع الثاني - عن "التفسير في الحقبة الحديثة والمعاصرة" "Exegesis of the quran; early modern and contemporary" ، من تحرير المستشرق Rotraud Wielaudt من جامعة بامبرغ Bamberg بألمانيا، عرض فيه للتفسير منذ محمد عبده إلى اليوم^(٢) ولم يلتفت إلى دعوى الاستفادة من العلوم الإنسانية في فهم القرآن أو تفسيره.

==

"تأويل" ، وترجمة Commentaire بـ "تعليق" ، وإن كان بعض المستشرقين لا يجدون فارقاً بين المصطلحين الأول والثالث.

(١) Encyclopedie of the qur'an ; T 2 pp99-124 ; Brill 2002

Ibid T2 pp 124-142 (٢)

المطلب الثاني

الجامعة الفرنسية تتبنى الترويج لهذه الدعوى

أكثر ما تم الترويج لها بين مستشرقين فرنسيين ومن تأثر بهم من مستشرقين بلجيكيًا وهولنديًا، لكن التنظير تولاه الفرنسيون بحكم ميل الأكاديميين منهم إلى التمسك بمختلف نزعات الحداثة وما بعدها مهما كانت مغرفة في التجريد، إذ سرعان ما تنتقل هذه النزعات من الجامعة إلى النوادي الثقافية بل تصبح موضوع اهتمام الصالونات والمقهيات الأدبية التي يرتادها "المثقفون" الفرنسيون والوافدون على السواء.

وفضلاً عما شهدته فرنسا منتصف القرن العشرين من انتشار واسع لمختلف المذاهب السياسية من اليمين واليسار، فقد احتضنت - أيضًا - تيارات فكرية وفلسفية ودينية متنوعة ومتصارعة في أحيان كثيرة، ووجد ذلك كله من ينافح عنه في الوسط الجامعي الذي تجسد خاصة في كلية الآداب "بالسربون" التي كانت لها مكانة وطنية ودولية متميزة^(١)، ففي هذه المؤسسة الجامعية وجدت "المادية التاريخية" (لباب الماركسية) من

(١) تأسست نواة السربون القديمة في القرن الثالث عشر الميلادي، وفي عام ١٦٢٢ م شيدت بنياتها العتيقة الأولى، وابتداءً من ١٨٠١ م اكتسبت هويتها الحالية باعتبارها جامعة تهتم بالآداب والعلوم الإنسانية، وقد جرى توسيع مبانيها ما بين ١٨٨١ و ١٩٠٢ م لتصبح كما هي عليه الآن.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

يطبقها منهاجاً في الفهم، كما صادفت "الوجودية" من يتمسك بها أداءً للتحليل، ولقيت "البنيوية" بنزاعاتها المختلفة من يعتبرها وسيلة مثلٍ للبحث العلمي؛ وكان أساتذة الفلسفة متربعون على "عرش التنظير" سواء تعلق الأمر بالأدب أو التاريخ أو الاجتماع أو الأديان، كما كانت دراسة الفلسفة واللاهوت المسيحي تتم غالباً في نفس المعاهد سواء كانت تابعة للجامعات أو مستقلة عنها.

ومن المؤسسات التي احتضنتها هذه الجامعة العريقة آنذاك "معهد الدراسات العربية والإسلامية"، فكان يتربع له كبار مستشرقون فرنسيون من الجامعات الأخرى، وفي هذه الفترة عمل به روبيير برونشفيج Robert Brunschvig ت ١٩٩٢ م وشارل بيلا Charles Pellat ت ١٩٩٠ م وكلود كاين Claude Cahen ت ١٩٩١ م ثم روحي أرلنديز Roger Arlandez ت ٢٠٠٦ م وغيرهم، كما انتدب للإشراف فيه على الرسائل مستشرقون آخرون من مراكز البحث غير التابعة للجامعات أمثال مكسيم رودنسون Maxime Rodinson ت ٢٠٠٤ م وجاك بيرك Jacques Berque ت ١٩٩٥ م وآخرون^(١)، وقد عرف عن عدد من هؤلاء المستشرقين دعوتهم إلى إخضاع نصوص الولي خاصية القرآن لمناهج فهم وتأويل النصوص الدينية المسيحية

(١) برونشفيج تخصص في تاريخ الحفصيين بتونس ثم تفرغ للاهتمام بأصول الفقه، وشارل بيلا تخصص في الأدب العاسي، أما كاين فاشتغل بتاريخ صدر الإسلام، وأرلنديز تخصص في الفلسفة الشرقية والفكر الإسلامي، أما رودنسون فاهتمامه بتاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، أما بيرك فشهرته في مجال التقاليد والأعراف بمجتمعات جنوب البحر المتوسط.

 المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فكان تأثيرهم لطلبة الدراسات العليا وإشرافهم على أطروحتهم مناسبة للترويج لدعواتهم.

وفي الفترة ذاتها وفد إلى السربون أستاذ الفلسفة بول ريكور Paul Ricoeur الذي انتقل من جامعة ستراسبورج عام ١٩٥٦م فسعى لتأسيس تيار في دراسة اللاهوت يقوم على تأويل النصوص المسيحية عن طريق المزج بين "العقلانية الحديثة والهرمنيوطيقا"^(١) وكان أحد منظري "اليسار الكاثوليكي" كما تقدم.

ولأن أكثر الطلبة العرب الوافدين إلى "معهد الدراسات العربية والإسلامية" كانوا يحملون إجازات (بكالوريوس) في الآداب أو تاريخ الفكر، فقد أغراهم بريق نظريات تفسير النصوص المسيحية ومنها نظرية ريكور فراح كثير منهم يحاولون تطبيقها في أطروحتهم ووجدوا في أساتذتهم المستشرين سندًا في ذلك.

ثم أدت أحاديث العنف الطلابي في ماي ١٩٦٨م بوزير التعليم العالي الفرنسي ادجار فور E.Faure إلى تقسيم جامعة السربون إلى خمس جامعات مستقلة^(٢) الشيء الذي مكن من إحداث "معهد - ثان - للدراسات العربية

(١) الهرمنيوطيقا Herméneutique مصطلح يراد به في كتابات النقد الأدبي بـ "علم التأويل"، وقد ارتبط في أوروبا بتفسير النصوص الدينية، وأصبح مجاله الآن واسعا باعتباره يهتم بالعلاقة التي تصل بين النصوص بصفة عامة ومن يقوم بتفسيرها والأنظمة التي تقوم عليها عملية التفسير أو التأويل. انظر: جابر عصفور، ملحق "عصر البنية" ص ٢٧٤.

(٢) هي جامعة باريس الأولى ثم الثالثة (السربون الجديدة) ثم باريس الرابعة
==

بحوث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

"الإسلامية" عام ١٩٧٠ م الحق بجامعة باريس الثالثة (السربون الجديدة)، نقل إليه المستشرق برونشفيج الذي تقدم ذكره ثم أُسند الإشراف عليه في أواخر السبعينيات من القرن العشرين إلى أحد تلاميذ المستشرقين وهو محمد أركون.

وفي هذين المعهدتين الباريسين انطلق التنظير والترويج الأكاديمي لهذه الدعوى التي ترمي إلى إخضاع فهم القرآن وتقسيمه لمناهج العلوم الإنسانية على اعتبار أن نصوص هذا الكتاب لا تختلف عن النصوص الأدبية كما لا تختلف عن النصوص المسيحية التي جربت هذه المناهج في دراستها ونقدتها، وقد ساهم في التنظير لذلك لفيف من متاخر المستشرقين إلى جانب عدد من تلامذتهم العرب، وكانت الرسائل التي تقدم للحصول على الدرجات العلمية أهم وسائل الترويج لها.

(السربون القديمة)، ثم الخامسة ثم السابعة، وفي هذه المؤسسات تم توسيع التكوينات القديمة للسربون (الأم)، ليصبح التعليم العالي في باريس مقسماً إلى اثنتي عشرة جامعة، ويتوجه التفكير اليوم لإعادة جمع بعضها مع بعض

المطلب الثالث

التنزيل الأولي لهذه الدعوى

تبغى الإشارة إلى أن الجامعة الفرنسية والسربون القديمة تحديداً استقبلت العشرات من الطلبة الوافدين من العالم الإسلامي ومن أنهوا دراساتهم العليا هناك وأنجزوا أطروحتات متميزة، ومن هؤلاء على سبيل المثال الدكتورة محمد حميد الله الحيدر أبادي وعبدالله دراز ويوسف العشن وعبدالصبور شاهين، فهؤلاء ذهبوا إلى فرنسا بعد أن حصلوا على تكوين علمي متخصص في بلدانهم ورغم أنهم صادفو هناك فترة بدء رواح هذه الدعوات إلا أن بريقها لم يُثُر فضولهم العلمي.

لكن وجد هناك طلبة عرب تخرجوا في بلدانهم بجازة (بكالوريوس) في الآداب أو الفلسفة أو تاريخ الفكر، فغيروا التخصص في مرحلة الدراسة العليا طالما أن الجامعة هناك تقبل ذلك، فأصبحوا باحثين في الدراسات الإسلامية، ومما شجعهم على ذلك أن أساتذتهم المستশرقيين كانوا يشرفون على موضوعات قد لا يكون لهم اطلاع عليها من قبل بسبب عرق درج عليه القوم مؤداته أن التأثير العلمي للرسائل إنما يكون منهجياً فحسب^(١).

(١) انظر ما ذكره د. عبدالرحمن بدوي ت ٢٠٠٢ م عن سنوات تعاقده للتدرис في معهد الدراسات العربية والإسلامية بالسربون القديمة ضمن كتابه "سيرة حياتي"

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

وانطلاقاً من عقد الستينيات من القرن العشرين سجلت ونوقشت بالرسوبون (القديمة) في باريس عدد من الرسائل التي وجهت لخدمة التطبيق العملي لهذه الدعوى، ثم استفحلاً هذا المنحى بعد ١٩٦٨ م حين فسح وزير التعليم العالي الفرنسي ادغار فور المجال لإمكانية الحصول على الدكتوراه بر رسالة واحدة، الشيء الذي جعل الجامعة الفرنسية توسع مجال استقطاب الطلبة الوافدين^(١).

ونظراً لكثرة الطلبة العرب الذين خدموا في رسائلهم هذا المشروع الغربي الاستشرافي، فستقتصر هذه الدراسة على الإشارة إلى ثلاثة نماذج منهم تم اختيارهم لأسباب أربعة هي:

- ١ - أن رسائلهم طبعت أكثر من مرة ومنها ما ترجم إلى العربية.
- ٢ - أنه لم يسبق لهم اهتمام بالعلم الشرعي قبل مرحلة الدراسات العليا.
- ٣ - أنهم ينتمون إلى جيل الطلبة الرواد في ستينيات القرن العشرين.
- ٤ - أنهم خاضوا في القرآن بهذه المناهج المدخلة رغم أن موضوعات رسائلهم لا تتعلق لها بالتفسير.

==

ج ٢ ص ١٤-١٦، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

(١) ابتداءً من سنة ١٩٧٠ أصبح القانون في فرنسا يمنح لمديري الأطروحة حق توجيه الطالب للحصول على الدكتوراه إما بر رسالة واحدة أو برسالتين: أساسية وتمكيلية، ثم تغير هذا النظام سنة ١٩٨٤ م باخر أصبح بمقدصاه تهيئة هذه الدرجة بر رسالة واحدة بحذف مرحلة الماجستير، ليتطور ذلك سنة ٢٠٠٢ م إلى نظام LMD، أي الإجازة والماستر والدكتوراه.

بحث

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

أول هؤلاء المصري حسن حنفي الذي تخرج من جامعة القاهرة بإجازة في الفلسفة، وانتقل إلى باريس أواخر الخمسينيات فأعاد تحت إشراف روبيرت برونشفيج رسالته عن "مناهج في التأويل: محاولات في أصول الفقه"^(١).

والثاني هو الجزائري محمد أركون الذي تخرج بإجازة في الآداب من جامعة الجزائر أوائل السبعينيات وغادرها ليستقر بفرنسا إلى أن مات بها عام ٢٠١٠م، وقد أعد رسالته الوحيدة للدكتوراه تحت إشراف شارل بيلا عن فلسفة مسكونية وناقشهما عام ١٩٦٩م^(٢).

(١) ولد حنفي عام ١٩٢٥م وحين انتقل إلى فرنسا وجده أستاذه مع طالب آخر هو التونسي أحمد باكير للتدريب على البحث في الفقه وأصوله بإشراف د. محمد حميد الله ت٢٠٠٢م الذي كان آنذاك يحقق كتاب المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، وقد تخرج حنفي عام ١٩٦٦م، وارتبط اسمه فيما بعد بتبني التفسير المادي التاريخي للعلوم الإسلامية.

(٢) ولد أركون ١٩٢٨م بمنطقة القبائل شرق الجزائر، عاش طفولته ثم يفاعه في مدارس البعثة التنصيرية الفرنسية بشمال إفريقيا التابعة لطائفة "الرهبان البيض Les Pères Blancs" ، وقبيل استقلال الجزائر عن فرنسا انتقل إلى مرسيليا رفقة أستاذة الراهب المستشرق لويس غارديه ت١٩٨٦م بتولوز وهو الذي وجهه في مرحلة الدكتوراه حيث كانت رسالته الوحيدة في:

Meskawah: Contribution à l'étude de l'humanisme arabe au 4/10 siècle Philosophe et historien

تحت إشراف شارل بيلا، وقد عمل غارديه على طبعها ١٩٧١م ضمن منشورات J. Vrin التي كان يشرف عليها.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

والثالث التونسي الطاهر ليبب الذي حصل على الإجازة في الفلسفة، وناقش في باريس رسالة دكتوراه السلك الثالث (الماجستير) في تخصص علم الاجتماع تحت إشراف جاك بيرك عن "الغزل العذري عند العرب" عام ١٩٧٢م^(١).

مع هؤلاء وطبقتهم ابتدأ التنزيل الأولي لدعوى فهم نصوص القرآن تبعاً لما يدعو إليه هذا المشروع التغريبي، يومئذ لم يكن هناك أي تنظير خاص أو تصور منهجي لتطبيقها على القرآن، بل اقتصر عمل هؤلاء على انتحال ما وجدوه بين أيديهم من تصورات وخطط "منهجية" خرجت من رحم معاهد دراسة اللاهوت المسيحي بفرنسا فتلقوها وأعملوها في رسائلهم الجامعية هناك.

(١) طبعت الرسالة مراراً بالفرنسية كما ترجمت إلى العربية، ويحسب صاحبها فقد سعى لتطبيق نظرية "لوسيان غولدمان" "البنية التكوينية" على الغزل العربي، فقاده ذلك إلى أقوال منكرة حيث ربط الغزل العذري عند العرب بعقيدة التوحيد التي كانت بحسبه من التصورات الجاهلية، كما تجراً على تأويل مذموم لسورة الإخلاص ولقصة يوسف في القرآن حتى تسلم له أراجيفه، وأنه ادعى منكراً من القول فلن أحيل على شيء مما خططه يمينه.

المبحث الثالث

حقيقة هذه الدعوى باعتبار خلفيتها النظرية ومرتكزاتها المنهجية

تطلب الأمر مرور بعض سنوات صدق فيها على أصحاب هذه "الرسائل الجامعية" قول الصادق المصدق فيما أخرجه البخاري : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا...» ، فكانت المرحلة الأولى هي انتقال الخطط والرؤى، لتبدئ بعد ذلك المرحلة الثانية التي تضافت فيها جهود هؤلاء مع أساتذتهم المستشرين لأجل وضع تصورات " منهجية " قصدوا بها التأصيل لهذه الدعوى، فكان الاقتباس أو الانتقال ثانية من كتابات المشغلين باللاهوت خاصة في معاهده بفرنسا، وجاء هذا " التأصيل " كما أخبرت به نبوة رسول الإسلام ﷺ في الحديث السالف في قوله عليه الصلاة والسلام: «... حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهם»^(١).

(١) الإمام البخاري، الجامع الصحيح كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ (لتتبعن سنن من كان قبلكم) حديث رقم .٧٣٢٠

المطلب الأول

انطلاق هذه الدعوة من خلفية الاستعلاء الغربي

كتب المستشرق الفرنسي كلود جيليو في "دائرة المعارف الشاملة" - نشرة ١٩٩٠ م - مؤرخاً ومخالحاً بما حققه المستشرون في مجال "تطوير الدراسات المرتبطة بالتفسير" فقال:

"إن تطور الدراسات القرآنية بالغرب منذ منتصف القرن العشرين تحقق بفعل تأثير التقدم الملحوظ في مجال الدراسات الإنجيلية ونظريات النقد الأدبي، أما أثر العلوم الإنسانية وبخاصة الأنثروبولوجيا وتاريخ الأديان فقد بدأ يظهر من خلال احتفال هذه الدراسات بدور الرموز والخيال الديني، ثم اهتمامها بعملية الانتقال من النصوص المตلوة شفافها إلى المكتوبة، وأخيراً اعتمادها بوظيفة الأساطير..؛ ويمكننا أن نميز بين توجهين رئيسيين في هذه الدراسات:

الأول: يشتغل على تاريخ النص القرآني من حيث تكوينه وجمعه وتدوينه.

أما التوجه الثاني: فيهتم بإعادة قراءة القرآن انطلاقاً من الوسائل التي توفرها مختلف العلوم الإنسانية، كما يعني أيضاً بالدراسة النقدية لأمهات التفاسير القديمة التي تعتبر شاهداً على الطريقة التي ساهم بها النص القرآني في تكوين الخيال الإسلامي في مختلف مراحل التاريخ، أي صورة الإسلام كما ينظر إليه وصورته كما جاء، وصورته في مخيلة

 المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ال المسلمين^(١).

سيق هذا النص هنا بطوله؛ لأنه يكشف جانباً من "عقيدة" الاستعلاء الغربي، فصاحبها يمن على الدراسات القرآنية المعاصرة "بفضل" المستشرقين عليها من حيث أنهم طوروها اعتماداً على خبرة الغربيين في مجال دراسة اللاهوت، ثم لم يكتف بذلك بل زادهم فضلاً على فضل؛ لأن دراستهم النقدية للتفسير من شأنها أن تكشف أن الإسلام الذي يمارسه أهله والذي يتخيلونه (يتصورونه) في وجدانهم ليس هو الإسلام الذي دعا إليه القرآن.

وهذه "الفرضية" الأخيرة من آثار التصور اللائكي للدين عند الغربيين، حيث يعتبرون طقوس المسيحية وتعاليمها مما استحدثه الرهبان فقط ولا

(١) انظر مبحث "الدراسات المعاصرة" لـ كلود جيلي Claude Gilliot ضمن مادة "قرآن" في النشرة الفرنسية لـ

Encyclopedie Universalis Corpus 6 P547. ed 1990. Paris.

وقد اختارت كلام هذا المستشرق الذي تجاوز السبعين سنة؛ لأنه أصبح اليوم أغزر الغربيين الأحياء كتابة عن التفسير، لذلك أستند إليه تحرير كثير من مواد "دائرة معارف القرآن"، كما جمع بين مسوّليات كثيرة، حيث أشرف على تحرير دورية أرابيكا Arabica كما تولى إدارة مجلة "النشرة النقدية للتحولات الإسلامية" Bulletin Critique des Annales Islamologiques التي يصدرها المستشرقون بالقاهرة، ثم زاد على ذلك مسؤولية "مجلة معهد الرهبان الدومينikan" M.E.D.E.O بالقاهرة التي تختص حتى اليوم بالتعريف بمختلف ما يصدر من الكتب الإسلامية في الغرب والعالم العربي، وكثير من موادها تكون متاحة لأخبار معرض القاهرة الدولي للكتاب.

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

صلة لها بالنصوص الدينية في التوراة والأنجيل، أي أن الدين المسيحي الممارس ليس هو مضمون هذه النصوص ولا تدل عليه؛ غير أنه إذا كانت هذه الفرضية صحيحة عند هؤلاء بعما لنتائج دراستهم للاهوت، فكيف يعممونها ليصبح أهل القرآن شركاء في هذا "الوعي الشقي" وذلك بوضع أئمة المفسرين الذين صنعوا في العلم في موضع الرهبان والأحبار، ثم بعد ذلك يعتبر هذا من "الفضائل" التي استفادتها الدراسة القرآنية المعاصرة من "نقدم الدراسات الإنجيلية"؟؟؟

إن هذا الاستعلاء لا يمكن فهمه إلا باستحضار تصور غربي لائق آخر يتعلق بوسائل تحصيل العلم والمعرفة التي تتأسس عند هؤلاء على "تأليه العقل المجرد" وما يؤدي إليه، وهذا ما أشر به المستشرقون في قلوبهم حين تبنوا دعوى إخضاع القرآن لهذه المنهاج التي يحسنون بالزهو والعلو حين يتحدثون عن استفادتهم منها في مجال الدراسات المتعلقة بالإسلام عامة وبالقرآن على وجه المخصوص.

ففي محاضرة ألقاها مكسيم رودنسون أمام مستشرقين أعضاء في "الجمعية الهولندية لدراسات الشرق الأوسط والإسلام" بيلدين في هولندا بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٧٦م عنوانها "الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا" قال هذا المستشرق في استعلاء يصل درجة الغرور: "وفيرأيي أن من بين الأشياء الإيجابية التي ثبتت صلاحيتها نهائياً وكونياً في الممارسة الأولية للعلم هي الدراسة النقدية للأصول، وإذا كانت هذه الدراسة قد مورست من قبل كبار مفكري الحضارات الأخرى إلا أن ممارستها المنهجية إلى أقصى الحدود لم تتحقق إلا في أوروبا، وغالباً ما تدان هذه المنهجية النقدية للأصول من قبل غير الأوروبيين باعتبارها تناول من

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

مشاعرهم لكن يجب علينا أن نقول وننكر بأن هذه المنهجية انطلقت في أوربا وطبّقت على الأصول الأوربية، وأن هذا التطبيق على التراث الروماني القديم وعلى نصوص التوراة والأنجيل هو الذي صقل أسلحتها^(١).

المطلب الثاني**الدعامات المنهجية لهذه الدعوى**

تقديم في كلام المستشرق جيليو أعلاه أن أهم ما احتفل به دعاء إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية فرعان من هذه العلوم هما الأنثروبولوجية وتاريخ الأديان:

أما الأنثروبولوجية فتعنى بدراسة المجتمعات البدائية، وكانت تطبيقاتها الأولى قد اهتمت بالمجتمعات البشرية التي تعيش حياة بدائية^(٢)، أما

(١) نشرت المحاضرة ضمن كتاب رودنسون "جاذبية الإسلام"

la fascination de l'Islam p120

.Ed Maspero Paris 1980

(٢) مصطلح الأنثروبولوجيا Anthropology هو تركيب مزجي بين الكلمتين اليونانيتين "أثررس" وتعني إنسان و"لوجي" وتعني العلم، وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا "علم الإنسان"، وقد كثر الاهتمام به مع اتساع رقعة الاستعمار في القرن التاسع عشر مع الرحالة والمنصرين الغربيين الذين كانوا يعتبرون كل ما سوى المجتمعات الأوروبية مجتمعات بدائية أو متوجهة...، وتطور هذا العلم مع دراسات الفرنسي ==

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

الاستفادة من هذا العلم بأقسام اللاهوت في أوربا فنابع من التصور اللائكي للمجتمعات القديمة التي ظهرت فيها التوراة ثم الأنجليل، فهي تنتهي إلى حقبة التاريخ القديم، وهي تبعاً لذلك التصور "مجتمعات بدائية" يجب أن تدرس تبعاً لما يقتضيه علم الأنثروبولوجيا وبخاصة ما يرتبط بفهم وتفسير معتقداتها وأنماط تفكيرها "الأسطورية".

وما دامت معاهد اللاهوت الأوروبية نظرت إلى مجتمعات التوراة والأنجليل من هذه الزاوية "النقدية"، فيجب تبعاً لذلك إخضاع جميع الكتب الدينية ومنها القرآن لنفس الشيء، واعتبار مجتمع الصحابة ﷺ - بالطبع - "مجتمع بدائياً" أيضاً طالما أنه يتميّز إلى حقبة التاريخ الوسيط في التقسيم الأوروبي للحقب التاريخية الكبرى.

وبالنظر إلى عدد من الرسائل الجامعية التي أطّرها المستشرون فإننا نجد أن الموضوع الأمثل الذي وجهوا الطلبة العرب للاشغال فيه بعلم (الأنثروبولوجيا) هو القصص القرآني ثم مشاهد القيامة في آيات الوعيد والوعيد، ومن أمثلة ذلك رسالة ماجستير (دكتوراه السلك الثالث) نوقشت في جامعة باريس الثالثة عام ١٩٧٨م - وهي غير منشورة - موضوعها "القصص القرآني وإنتاج المعنى قصة يوسف أندوجا"^(٦٩).

==

كلود ليفي ستروس ت ٢٠٠٩م الذي كان يذهب إلى أن كل مجتمع هو عبارة عن بنية متكاملة مفتاحها الأساسي هو دراسة أنظمتها الثقافية والرمادية التي من بينها الدين الذي يعتبره مجرد إنتاج ثقافي بشري.

L. Gasmi; Narrativité et production du sens dans le texte Coranique; le récit (١)
De Josef. Thèse 3 cycle Paris 3; 1978

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

والى جانب رسائل أمثال هؤلاء الطلبة استغل المستشركون "الأنتروبولوجية البنوية" باعتبارها منهجاً للتأنويل وخاصوا بها في آيات الأحكام العملية من عبادات ومعاملات على طريقة الباطنية قدימה الذين أدى بهم التأويل المذموم إلى الطعن في الأحكام جملة وتفصيلاً، ومن أبرز الغربيين الذين أوغلووا في ذلك المستشرفة الألمانية أنجليكا نويفرت - التي تقدمت الإشارة إليها - فقد أنفقت سنين من عمرها للكتابة عن موضوع "التكوين الداخلي لآيات العبادات في القرآن" وانتهت إلى أن عبادة الصلاة - مثلاً - مأخوذة عن اليهود؛ لأن القرآن تبعاً لهذا التأويل البنوي ربطها بالكعبة وهي من دين إبراهيم الذي ترجع إليه اليهودية^(١).

أما الفرع الثاني من العلوم الإنسانية في كلام المستشرق جيليو فهو "تاريخ الأديان"، وإذا كان علم التاريخ بصفة عامة من العلوم الإنسانية، فإنه إذا أضيف إلى الأديان أصبح تبعاً للفهم الغربي يبحث في تراتبية الأديان وـ"الاستفادة" المحتملة لبعضها من بعض؛ وبخصوص القرآن يبحث المستشركون المعاصرون بزعمهم عما أخذه هذا الكتاب من الأديان السابقة، وهم بذلك يعيدون الكراة، فبعد أن كان مستشرقو القرن التاسع عشر وبداية العشرين يبحثون في كتب السير عن أخبار النبي ﷺ

(١) انظر: ع. هرمس، الدراسات القرآنية عند المستشرقين، مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد ٦ ص ١٣٨-١٣٩.

وانظر أيضاً دراسة هذه المستشرفة التي قدمتها لمؤتمر بيروت في موضوع:
Arabica Avril 2000 pp194-229 ضمن دورية "Du texte de la récitation au canon"

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

مع بحيرا وعداس للطعن في ربانية مصدر القرآن، فإن خلفهم اليوم يتسلون بـ "تاريخ الأديان" كما يتصوره الأوروبيون لبلوغ نفس الغاية.

ولا يقتصر الأمر على القرآن بل حتى التفسير توسل القوم في "نقده" أو بالأحرى الطعن فيه بنفس الوسيلة واستغلوا لذلك ما تناقله الرواة عن مسلمة أهل الكتاب ودخل إلى عدد من كتب التفسير، ويكفي في هذا الجانب الإشارة إلى أن المستشرق السالف جيليو حضر في جامعة باريس الثالثة رسالته للماجستير والدكتوراه عن تفسير الطبرى وسعى ضمنهما للغمز في "جامع البيان"^(١)، ثم استخرج فيما بعد من الرسائلين موضوعاً في سبع وخمسين صفحة للطعن في ما ذكرته كتب الترجم عن حبر الأمة ابن عباس رض الذي كان من المكثرين في التفسير، واصفاً ترجمته في تلك المصادر بأنها "أسطورية Mythique" صنعها المصنفون في علم التاريخ، ولأن الأمر يتعلق بصحابي جليل رض فهذا التطاول الاستشرافي يسعى للطعن في "تاريخ رواة الحديث النبوي" تبعاً لذلك^(٢).

هذا، ومما تنبغي الإشارة إليه هنا أن أول من سعى لجمع "دعامت"

(١) موضوع رسالة الماجستير "المروريات الواردة في تفسير أربعين آية الأولى من سورة البقرة: تشكيلها ووظيفتها" نوقشت تحت إشراف أركون ١٩٨٣م، أما موضوع الدكتوراه فكان "التأويل واللغة وعلم الكلام في الإسلام من خلال تفسير الطبرى" نوقشت مع نفس المشرف عام ١٩٨٧م وهي مطبوعة في لغتها الفرنسية.

C.Gilliot Portrait "Mythique" d Ibn Abas in Arabica T32; fas2 ;1985 pp 127-184. (٢)

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية هو أستاذ جيليو ب (جامعة باريس الثالثة) محمد أركون وذلك في مقالة مطولة نشرت عام ١٩٧٠م على شكل مقدمة للطبعة الجديدة لترجمة كازيميرسكي للقرآن، ثم أعاد الكاتب نشرها عام ١٩٨٢م ضمن كتاب صدر له بالفرنسية عنوانه "قراءات للقرآن"^(١) (٧٣)، غير أنه مما يتقدّم على الدعامات المنهجية لهذه الدعوى عند أركون خلطه بين مناهج العلوم الإنسانية ومذاهب النقد الأدبي الغربي، ثم انتحاله بين لآراء عدد من دارسي اللاهوت ظل يردد़ها لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن دون أن يسأل من ذلك.

المطلب الثالث**انعكاس هذه الدعوى خارج الجامعة الغربية**

كان لدعوى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية بريق غشاً أبصار ثلات فئات من الناس في العالم الإسلامي:

الأولى: رأت فيها نوعاً من "الحداثة" في مجال الدرس القرآني.

والثانية: اعتبرت هذه الدعوى لوناً من ألوان التجديد في فهم القرآن تبعاً لما يقتضيه العصر.

والثالثة: ركبت هذه المناهج للتلبّيس بها عن آراء مذهبية شاذة في الاعتقاد أو السلوك.

M. Arkoun; Lectures du Coran pp1-26 ed Maisonneuve et larose ; Paris 1982 (١)

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

فإما الفئة الأولى فتشكل من طائفة من خريجي الجامعة الفرنسية أغلبهم من تونس، تحلقوا في ثمانينيات القرن العشرين حول مجلة صدرت عام ١٩٨٣ م باسم "٢١x١٥" - في إشارة إلى القرن الخامس عشر الهجري والقرن الواحد والعشرين الميلادي - كانت تقدم من قبل ناشريها على أنها منبر للحداثة في كل ما يتعلق بفهم الإسلام، ومن هنا جاء - مثلاً - احتفالها بمناهج اليسار الكاثوليكي الأوروبي في التعامل مع الأنجليل فهما وتأويلاً، كما دأبت على تعريب كثير مما كتب عن هذه الدعوى بالفرنسية، وكان عبد المجيد الشرفي تلميذ أركون يترجم لها مقالات أستاذه^(٤) (٧٤)، وقد تجسدت "الحداثة" بالنسبة لهؤلاء في تلقي وترويج آخر النظريات الغربية في التعامل مع الدين.

أما الفئة الثانية فتجمع عدداً من المؤلفين المرتبطين بفرع القاهرة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والتجديد الذي يدعون إليه يقوم على فهم القرآن تبعاً لمعطيات "العلوم الاجتماعية"، وكثير من هؤلاء تخصصوا في مجال النقد الأدبي الحديث ومنه انتقلوا للاشتغال بالقرآن ومنهج تجديد "قراءته" بحسبهم^(٥).

(١) انظر مثلاً ملفاً عن "آفاق الدراسات القرآنية" ضمن العدد ٥ من المجلة الصادر في مايو ١٩٨٣ م وهو مترجم من مقالات لأركون.

(٢) انظر أنموذجاً لكتابات هذه الفئة عند وليد مير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة ١٤١٨ هـ، وانظر التنظير لهذه القراءة في كتاب د. طه العلواني، معالم في المنهج القرآني، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ دار السلام القاهرة.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

أما الفئة الثالثة التي ركبت على هذه الدعوى للتلبيس بها فستكون من عدد من الرافضة في بيروت وقم، فهؤلاء ركعوا بأخرة على هذه الدعوة في مرحلة خريفها، وأكثر منشوراتهم بالعربية تصدر في بيروت عن "مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي"، ولا أريد أن أشغل القارئ بذكر شيء من عنوانين منشوراتهم ولا أسماء مؤلفيها، لأن الغاية منها - فيما وقفت عليه - الدعاية الملتوية لمذهب الرفض بين قراء العربية، ويضاف إلى هذه النحلة الأخيرة فرع مشابه لها بلندن هو "مركز الدراسات الإسماعيلية" المتقدم ذكره.

وأهم ما يجب التنبيه إليه عند الكلام عن أثر دعوى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية خارج الجامعة الغربية ما يلي:

- ١- إننا في الوقت الذي نجد فيه المستشرين وتلامذتهم هناك لا يت婉ون عن ربط الدعوى بالدراسات التي ظهرت في معاهد اللاهوت بالغرب، فإننا نفاجأ بكون الفئات الثلاث السابقة تجهد لإخفاء ذلك الارتباط، بل هناك من سعى لقطع صلة هذه الدعوى بمنتها حتى لا ينبع بالتغيير.
- ٢- أن دعوى إخضاع القرآن لهذه المناهج لم يحتفل بها في العالم العربي - خاصة - إلا بعد إحالتها على "متحف" تاريخ الفكر بأوروبا وإغلاق قلاعها في الجامعة كما سيأتي بيانه في المبحث اللاحق.
- ٣- أن نقل هذه الدعوى وإن جاء في سياق "ظاهرة التماقф" إلا أن الواقع يشهد أن كثيراً من الذين يتبنونها في العالم الإسلامي - والعربي على الخصوص - لا تتعذر معرفتهم بها ما يصطلاح عليه

دُعْوَى فَهْمُ الْقُرْآنِ فِي ضَوْءِ مَنَاهِجِ الْعِلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ

بـ "ثقافة السمع" الشيء الذي جعلهم يدعون إلى مناهج تكفلواها، ومن ثم صدق فيهم قول الإمام الشافعي عن سلفهم في زمانه: "... ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته: كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة والله أعلم، وكان بخطه غير معذور، إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه".^(١)

(١) الإمام الشافعي، الرسالة ص ٥٣، مصورة بدار الفكر، تحقيق أحمد شاكر.

المبحث الرابع

تقويم هذه الدعوى وآثارها وبيان آفاقها

أول ما يوقف الباحث المتخصص حين يدرس هذا الموضوع بغية تقويمه هو طبيعة وحدود الاهتمام العلمي "لمعاهد الدراسات العربية والإسلامية" في جامعات أوروبا الغربية بشكل عام والتي احتضنت هذه الدعوى بشكل أخص، ذلك أن اتساع ذلك الاهتمام جعل المستشرقين يغرقون في التناظير لمشاريع لا يستطيعون انجازها مهما امتد بهم العمر بغض النظر عن جدواها وفائتها في مجال البحث العلمي؛ وفي دراسة قدمها كلود كاهن وشارل بيلاء إلى آخر مؤتمر دولي للمستشرقين عام ١٩٧٣ عنوانها "الدراسات العربية والإسلامية" استهلاً كلامهما بالذكير بصعوبة وضع خط ثابت للتمييز بين حدود "الدراسات الأدبية" و"الدراسات التاريخية والاجتماعية" في المجال الذي يشتغل فيه المستشرق^(١)، وهذا التداخل أو الخلط بين المجالات المعرفية المختلفة جعل هؤلاء يدرجون القرآن - أولاً - ضمن دراساتهم التي تعنى بالنصوص الأدبية ومن ثم أخضعوه للمناهج الغربية المختلفة في النقد الأدبي، ولم يكفهم ذلك حتى أضافوا - ثانياً - مناهج الدراسة التاريخية والاجتماعية تقليداً

Cahen et C.Pellat; Les Etudes Arabes et Islamiques;in Journal Asiatique (١)
n : ٢٦٢ C. Fas 1-4 ; 1973 p 93.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

لما يعج به المحيط الجامعي الذي يعملون فيه، وبخاصة معاهد دراسة اللاهوت التي سبقت إلى الشيء نفسه.

واعتباراً لذلك جاءت دعوى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية على شكل "مشروع" كبير لم يقدر أصحابه حقيقة حجمه - على افتراض صحته - لذلك عجز أكثر دعاته تحمساً له عن انجاز شيء منه، ومن هنا محاولة استقطاب طلبة الدراسات العليا من العرب للعمل فيه لكن ذلك لم يفده^(١).

ولأن تقويم هذه الدعوى والوقوف على آفاقها يصعب في صفحات معدودة وبخاصة حين ننظر إلى الكتابات التي راكم فيها المستشرقون وتلامذتهم تغطيراتهم طيلة نصف قرن أوزيد، فسيتم الاقتصر من ذلك على أمور ثلاثة رئيسة هي:

- ١- تقويم هذه الدعوة - إجمالاً - من جهة المنهج.
- ٢- أثرها في أوساط طائفة من هواة التأليف عن القرآن.
- ٣- بيان آفاقها المستقبلية من منظور ما انتهت إليه حالياً في منتهاي الأصلي.

(١) انظر دعوة المستشرقين إلى ذلك في المرجع السابق

Les Etudes Arabes et Islamiques; in Journal Asiatique; n 262 ...p107.

المطلب الأول

تقويم الدعوى من جهة المنهج

المنهج في مجال البحث والدراسة هو السبيل الذي يتم اعتماده من أجل الوصول إلى المعرفة أيا كانت، ويجب أن يكون مستوفياً للقواعد والضوابط العلمية المطلوبة في كل فرع من فروع المعرفة الإنسانية سواء أكانت نظرية أو تطبيقية وسواء تعلقت بالدين أو بغيره، وأساس هذه القواعد ما يحقق استقلالية الباحث والدارس ويعينه من إضفاء ميوله الذاتية أو أهوائه أو آرائه المذهبية على المادة التي يستغل عليها بما يتنافي مع "أخلاقيات العلم" حسب المصطلح المعاصر^(١).

والعارف بتاريخ تفسير القرآن يدرك أهمية المنهج، كما يعلم أن فساده أو قصوره هو السبب الأول وراء مختلف الانحرافات التي ارتبطت بالتفسير المذموم مع طوائف المبتدعة قديماً، فقد استعروا مناهج غربية عن القرآن وجعلوها مرآة نظروا فيه من خلالها فلم يبصروا الحق، فضلوا وأضلوا.

وتفسير القرآن أو فهمه مثل سائر المعارف له قواعده وأصوله التي تضبط عمل المقدم عليه، وهي أمور منهجية تساعد الناظر فيه على إدراك الحق الذي يبتغيه وتচون جهده من الهدر أو العبث، كما تحمي

(١) ديفيد رتننيك، أخلاقيات العلم، عالم المعرفة الكويت العدد ٣١٦٥٥ عام ٢٠٠٥.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

كتاب الله تعالى من الخائضين فيه وكذا من الذين حرمهم سبحانه فقهه معانيه واستنباط هديه كما وصفهم **ﷺ** في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكْتَنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ [الإسراء: ٤٦].

ودعوى إخضاع تفسير القرآن أو فهمه لمناهج العلوم الإنسانية قدمت من قبل المستشرقين وتلامذتهم على أنها "قراءة Lecture للقرآن، ومصطلح القراءة هذا يعني - تبعاً للمفهوم البنوي الذي ظهر في إطاره - إعادة إنتاج المعنى" و "تعدد المعانى بتنوع القراءات"؛ وقد سعى منظرو هذه الدعوى إلى التأصيل لها في مؤلفات أشهرها:

- كتاب "إعادة قراءة القرآن" Relectures du Coran ل جاك بيرك ت. م ١٩٩٥.
- كتاب "القرآن: دليل قراءة Le Coran guide de lecture" ل روحي أرلنديز ت. م ٢٠٠٦.
- دراسة بعنوان "كيف نقرأ القرآن Comment lire le Coran" ل محمد أركون ت. م ٢٠١٠.

وبصرف النظر عن عدم أهلية هؤلاء المنظرين العلمية للكلام في فهم القرآن وتفسيره بحكم جهلهم بالشخص، وبغض النظر أيضاً عن جدوى استعارة هذه المنهاج الغربية من حقل دراسة اللاهوت...، يبقى مصطلح القراءة بحد ذاته - رغم تساهل كثير من المعاصرين في استعماله - يدعو إلى التوقف عنده.

فقد ظهر المصطلح في مجال الدراسات الأدبية، وارتبط بـ "نظريه النص Théorie du texte" في حقبة انتشار الترجمة البنوية، ولأن تفاصيل

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

هذه النظرية لا تفيد غير المتخصص في مذاهب النقد الأدبي المعاصر، فلتقرير المراد منها نقف هنا على لبابها فقط من خلال كلام أشهر منظريها وهو الناقد الفرنسي: رولان بارت *Rolan Barthes* ت ١٩٨٠ حيث قال: "... جاءت (نظريّة النص) إعلاناً بميلاد (القارئ) الذي يفتح الدراسة الأدبية أي القراءة بمعناها الواسع اعتماداً على مناهج مختلفة، وتتعدد هذه القراءة بتنوع أصحابها ولو تناقضت النتائج التي يتوصّل إليها كل واحد؛ لأن كل واحد منهم يبدع قراءة جديدة" ^(١).

فالذى نخلص إليه من النص السابق أن مصطلح القراءة هذا لا يميز فيه بين النص الأدبي الذي يتوجه البشر وبين الكلام الإلهي المنقول إلى الناس وحيا فكل ذلك سواء، ثم إن القراءة هي إنتاج للمعاني وليس استنباطاً لها، وأخيراً فإن تناقض هذه المعاني التي تنتجه القراءة واختلافها وتضاربها مطلوب بحد ذاته... ^(٢).

وتبعاً لذلك فهذه "القراءة" يراد منها باختصار أن تفتح الباب للاختلاف

R. Barthes; "Texte (théorie de)" ; in Encyclopedie Universalis Tome 22; (١)
pp370-374

(٢) انظر دراسة نقدية لهذه القراءة عند: د. عبدالعزيز حمودة ت ٢٠٠٦ م في ثلاثة:

- المرايا المحببة، عالم المعرفة الكويت العدد ٢٢٢ عام ١٩٩٨ م.

- المرايا المقرعة، عالم المعرفة الكويت العدد ٢٧٢ عام ٢٠٠١ م.

- الخروج من التيه، عالم المعرفة العدد ٢٩٨ عام ٢٠٠٣ م، وقد عرض ضمن هذه الكتب الثلاثة لعوار تطبيقات هذه القراءة الحديثة في مجال النصوص الدينية الإسلامية.

بحث

دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

والتناقض في تفسير القرآن وفهمه، فإذا تمهد ذلك كان وسيلة لنقض هدي القرآن وأحكامه في العقيدة والعبادات وأمور الحلال والحرام كلها، وهذا ما يهفو إليه المستشرقون السابقون وتلامذتهم ممن ينسبون أنفسهم إلى "الحداثة" ، ولأجله يتكلفون الانتصار لما يصطدحون عليه بـ " تاريخية النص القرآني"^(١).

المطلب الثاني**أثر هذه الدعوى في أوساط هواة التأليف عن القرآن**

الدعوة إلى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية يراد بها وفق "خطة القراءة السابقة" ربط آيات القرآن بزمنها وبيئتها، وقطع صلتها بما عدا ذلك من الأزمان والبيئات اللاحقة، وهذا ما يصطدح عليه بـ "تاريخية القرآن" أي ارتباطه بعصر محدد مضى^(٢).

وقد قادت هذه القراءة دارسي اللاهوت - من قبل - إلى القول بـ "أراء غريبة فيما يتصل بتزعة التدين عند الإنسان، فاعتبروا العقيدة تقوم على

(١) للتوسيع يرجع إلى: د. طه عبدالرحمن، روح الحداثة ص ١٨٤-١٨٨، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.

(٢) حرص أركون على جمع طائفة من مقالاته التي ترجمها إلى العربية تلميذه هاشم صالح عن أصول الفقه وعلم الكلام...، فنشرها عام ١٩٨٦م بعنوان " تاريخية الفكر العربي الإسلامي".

بحث

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الإيمان الشخصي الذي يكفيه المرء على حسب هواه، ثم رأوا في الشعائر قيوداً على سلوكيات الأفراد، وبنوا على ذلك مجموعة من الفرضيات التي أُلْبِسَت ثوب العلم هي:

- ١ - كون العقيدة مرتبطة بمستوى المعرفة في كل عصر، ففي زمن ظهور المسيحية كانت المعرفة أسطورية، وفي زمن "فلسفة الأنوار" بأوروبا وما بعدها يجب أن تصبح العقيدة هي "إعلان العقل البشري المجرد".
- ٢ - أن التكاليف أو الأحكام الدينية مجرد "تعاليم" أو توجيهات لا تكتسي صفة الإلزام.
- ٣ - أن نزعة التدين عند الإنسان لا يجب أن تتجاوز "الأخلاقيات الوجدانية" الخاصة بكل فرد، ومن ثم يجب أن لا ترتبط بأي جراء أو عقوبة في الحياة أو بعد الممات؛ لأن التدين مسألة شخصية للمرء أن يمارسها كيفما يهوى.

ولأن "قراءة القرآن" تتأسس على الاستفادة من التطور الحاصل في مجال دراسة اللاهوت، فقد انتقلت هذه الفرضيات إلى محافل المستشرقين وتلامذتهم، وبسبب فراغهم المعرفي الذي يصل درجة الجهل، أصبحوا يكتبون عن "دور الأسطورة في القرآن"، وحلت كلمة "التعاليم الإسلامية" مكان الأحكام الشرعية وهلم جرا...

ثم إن التأليف عن كتاب الله في عصرنا تطاول عليه الناس، وأدى ذلك إلى "فتنة" حقيقة في الكثير من الكتابات التي امتنعت صهوة "قراءة القرآن" فأورثها ذلك تخبطاً في التعامل مع مصطلحات غريبة استعيرت من بيئتها الفكرية، ومن هذه المصطلحات "تاريخية النص الديني" الذي

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

يعني تبعاً للمفهوم الغربي قطع علاقة هذا النص بأي مصدر غيبي، وحينما يستعمل في مجال الدراسات القرآنية يعني نفي خاصية الربانية عن القرآن، مما يحيل مباشرة إلى القول ببشرية مصدر هذا الكتاب، أو على الأقل النظر إلى آياته على أنها "مجازات" تخاطب العقل الخفي في الإنسان ومساواة القرآن بالتوراة والأناجيل.

واسع مجال غزو هذه المصطلحات - التي أحدثها اللائكيون بالغرب لدراسة كتبهم الدينية - بين أولئك المؤلفين الذين تلقفوها طلباً لبريقها، ومن أشهرها على سبيل المثال:

مصطلاح الإشكالية problematic، ومصطلح الرموز symbols، ومصطلح المقاربة Approche... وأمثالها مما أدخلها قبل سنوات دعوة إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية، واليوم يرددتها عدد من هواة التأليف عن القرآن بالعالم الإسلامي ممن لم يعرف عنهم التخصص في الدراسات القرآنية ولا الاطلاع على المعاجم الغربية التي ضبطت المفاهيم المراده، بل لا يكلفون أنفسهم حتى السؤال عن السياق الفكري الغربي الذي أنتجها.

المطلب الثالث

آفاق هذه الدعوى من منظور ما انتهت إليه

مضي على هذه الدعوى أكثر من أربعة عقود وكان مما انتهت إليه:

- ١ - أنها فتحت الباب لتجريب شتى المناهج على القرآن، ابتدأت التجربة بالعلوم الإنسانية واختتمت بالنظريات النقدية والفلسفية المطبقة في مجال الدراسة الأدبية بدون التفات إلى أصولها ولا إلى أقول الاهتمام بها في مواطنها، ووصل الأمر اليوم أننا نجد مختلف المتسرورين على الدراسات القرآنية يتذمرون هذه "القراءة" سلما للتل قول على الله بغير علم.
- ٢ - أنها زعزعت لدى كثير من الكتاب والمؤلفين الاعتقاد بجدوى الأهلية العلمية والتخصص الأكاديمي، ذلك أن دعاء هذه القراءة من المستشرقين وتلامذتهم جعلوا من أنفسهم "آئمة" للمعارف المتنوعة، فهم متخصصون في القرآن وعلوم الإسلام قاطبة، بالإضافة إلى تخصصهم في العلوم الإنسانية ودرايتهن بالمناهج المعاصرة في النقد الأدبي، ومن "غرائب" البحث في هذا الموضوع أن نجد المستشرق جاك بيرك ت ١٩٩٥ م يترجم له في موسوعات الأعلام بالغرب على أنه: "عالم إسلاميات وسوسيولوجي وأثنوغرافي ولساني ومؤرخ"^(١)، في حين أن مؤسس الأنثروبولوجيا البنوية كلود ليفي

(١) انظر ترجمة جاك بيرك في : Dictionnaire des orientalistes de langue française ; pp102-103 ; ed Karthala; Paris 2008.

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

ستروس لا ينسب سوى إلى العلم الذي أسسه.

٣- أنه بالرغم من كثرة الكتابات التأصيلية لهذه الدعوى إلا أنها لم تنتقل إلى مجال التطبيق، فبقيت "مشاريع" معلقة تنتظر من يخدمها؛ لأن "سدنتها" بعد أن تحمسوا لها عجزوا عن تجربتها.

فمحمد أركون ت ٢٠١٠ م عاش واحداً وثلاثين سنة بعد نشر أول مقالة له في التنظير لها، كتب في مستهل هذه السنين مقالتين عن سورتي الفاتحة والكهف نشرهما سنة ١٩٨٢ م ولما واجهته استحالة تطبيق دعوته من خلالهما انكفاً إلى الوراء مكتفياً بالبحث عن تلاميذ يترجمون مقالاته إلى العربية عليه يصادف بين قرائتها من يخدم دعوته.

أما جاك بيرك فقد وصل متآخراً إلى هذا المحفل فوجد سابقه من المستشرقين قد أنهوا اقباس التنظير لهذه "القراءة" من معاهد اللاهوت، فانتحل لنفسه التنظير لما سماه "إعادة القراءة" Relecture "نشر بالفرنسية عام ١٩٩٠ م كتاباً تحت عنوان: "القرآن: محاولة ترجمة من العربية مع تقديم ودراسة عن التفسير"، والكتاب يتكون من شقين:

الأول - ترجمة لمعاني القرآن، وهي حافلة بالأخطاء^(١).

الشق الثاني - مقدمة في التنظير لهذه القراءة، وقد استل هذا الشق من الكتاب عام ١٩٩٣ م ونشره في كليب مستقل بعنوان "إعادة قراءة القرآن"^(٢).

(١) الدراسات القرآنية عند المستشرقين، مرجع سابق ص

J. Berque; Relire le Coran; ed Albin Michel; Paris 1993

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

لكن "إعادة قراءة القرآن" هذه لم يستطع جاك بيرك تطبيقها لا في ترجمته التي استنكرها الأزهر في حينها ولا في غيرها، رغم الدعاية التي أحاط نفسه بها بعد طبع الكتيب الذي هو في الأصل محاضرات ألقاها في "معهد العالم العربي" في باريس.

وأخيرا نصل إلى آفاق هذه الدعوى، فالذى يظهر بعد الدراسة المتأنية أنها لا تعدو كونها "نزوءة" عابرة مثل نزوات الباطنية قدימה الذين وصف أبو حامد الغزالى صنيعهم بالقرآن والسنن فقال: "...إنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنن صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوهما، واستفادوا بما انتزعاوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معانى الشرع، وبما زخرفوه من التأowيات تنفيذ انتياداتهم للمبادعة والموالاة، وأنهم لو صرحو بالمعنى المحسض والتكميد المجرد لم يحظوا بموالاة الموالين".^(١)

ويدل على أنها نزوءة عابرة مصير قلاعها في منتها الأول، والمقصود "معهد الدراسات العربية والإسلامية" في جامعتي باريس الرابعة ثم الثالثة:

بالنسبة للسريون القديمة (باريس الرابعة) - التي كانت مهد الدعوى إلى إخضاع القرآن لمناهج العلوم الإنسانية - فقد اختفى منها هذا المعهد بعد هلاك أو هرم أعمدته من المستشرقين، ولا توفر هذه الجامعة اليوم سوى على "وحدة للدراسات العربية والعبرية" يشرف عليها عبدالله الشيخ

(١) الغزالى، فضائح الباطنية ص ٥٩، المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٢هـ.

بحث

دُعْوَى فَهْمُ الْقُرْآنِ فِي ضُوءِ مَنَاهِجِ الْعِلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ

موسى. وفي مرحلة الدكتوراه أدمج البحث في الآداب العربية وتاريخ الإسلام ضمن تكوين خاص بـ"العالم الوسيط والقديم".

أما بالنسبة للرسوبون الجديدة (باريس الثالثة) - التي شبت فيها الدعوى - فقد ألغى "معهد الدراسات العربية والإسلامية" بها وعروض الآن بـ"مركز الدراسات العربية" الذي يهتم بالسوسيولوجيا ويشرف عليه اليوم برهان غليون.

كما يدل على أنها نزوة عابرة - أيضاً - حالها في العالم الإسلامي بعد أن أصبحت مطية لكثير من المتسرورين على القرآن من هوا التأليف الذين يخشون أن يجاجهم أهل القرآن في فهمهم المدخول، أو يحاكموا جرأتهم على الله بعرض كلامهم على أصول علم التفسير، فارتاؤا أن أقصر طريق للتخلص من ذلك هو نسبة "فهمهم" إلى "قراءة القرآن" وليس إلى تفسيره.

خاتمة الدراسة واستنتاجاتها

كان فهم القرآن أو تفسيره اعتماداً على مناهج العلوم الإنسانية دعوى نادى بها لغيف من متأخرى المستشرقين وقد برزت في مخالفتهم باعتبارها شيئاً جديداً في تاريخ الدراسات القرآنية الغرض منه تطويرها، وارتبط ذلك بأمرتين:

- الأول - فصل هذه الدراسات عن أصولها وقواعدها التي تحكم النظر في القرآن فهما وتفسيراً واستنباطاً.

- الثاني - استعارة تطبيقات تيار لاهوتى لاثكى غربى لهذه المنهاج والاستفادة من تجربته في تطوير الدرس القرآنى.

وإذا كانت هذه الدراسة قد انتهت إلى أن هذه الدعوى التي قدر لها أن تظل "معلقة" التطبيق هي في حقيقتها مجرد نزوة عابرة في تاريخ تعامل الناس مؤمنين أو كفاراً مع القرآن، فقد خلصت في سياق بحثها للموضوع إلى الاستنتاجات الرئيسية التالية:

- ١- أن هذه الدعوى لها جذور تتصل بعقيدة "الاستعلاء الغربي" على بقية الأمم والشعوب، حيث لا يقتصر الأمر على فرض التصورات الغربية في شأن العلوم والمعارف المشتركة بين الناس، بل حتى خصوصيات الأمم يجب أن تتحمّلها هذه التصورات لتحدّد لأصحابها غصباً عنهم طريق الفهم، ومن هنا جاء تطاول هؤلاء على الدراسات القرآنية بمبرر "التطوير".

- ٢- أن غاية هذه الدعوى نشر الاعتقاد بتاريخية القرآن، وأيسر سبيل

 دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية

لتحقيقها الاستفادة من الإمكانيات التي توفرها نظرية " القراءة " تبعاً لمفهومها في تحليلات ما بعد البنوية، حين أصبحت النصوص مفتوحة على كل المعاني التي لا تكف عن التوالي، وأصبح قارئ النص يتبع دلالته بمعزل عن دلالته المعجمية وعن قواعد تفسير النصوص.

٣- أن الترويج لهذه الدعوى تنظيراً وتطبيقاً انطلق من المؤسسات الجامعية التي تحولت عدد من معاهدها إلى " قلاع " تم فيها توجيه رسائل الدراسات العليا لخدمة هذا الترويج، وذلك قبل إغلاق هذه المعاهد لاحقاً بعد استنفاد أغراضها.

٤- أن انتقال هذه الدعوى خارج موطن ظهورها كان من طريقين:

- الأول: بواسطة أفراد منبعثات التعليمية إلى الجامعات الغربية، فهؤلاء تولوا فيما بعد مهام التدريس الجامعي في أوطنهم، وحرصوا على خدمة هذه الدعوى نشراً وترجمة وتاليفاً.

- الطريق الثاني: كان نتيجة " عملية التماقф "، إذ كان لهذه الدعوى بريق يغشى الأ بصار المولعة بكل ما يدللي إلى " الحداثة " بسبب، لذلك ركبها الكثيرون من تكلفوها دون أن يعلموا منشأها ولا خلفياتها؛ والله تعالى أعلم.

